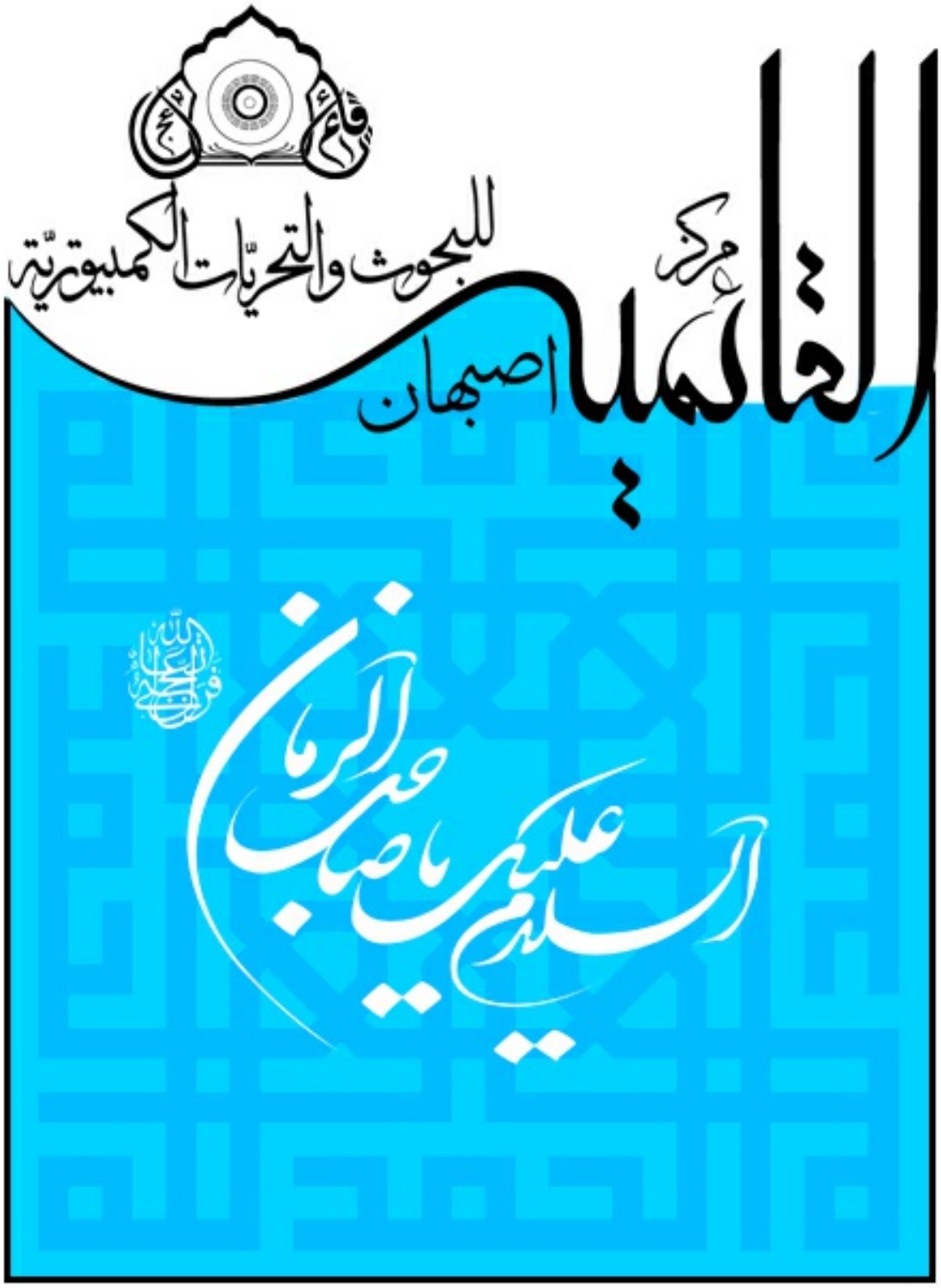

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

السقيفة

بقلم المغفور له
الامام المجاهد الشيخ محمد رضا المظفر

بسم الله الرحمن الرحیم

السقیفه

کاتب:

محمد رضا مظفر

نشرت فی الطباعة:

انصاریان

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
السقیفه ----- ۸
اشاره ----- ۸
اشاره ----- ۸
مقدمات التحقیق ----- ۱۶
اشاره ----- ۱۶
تقدیم بقلم: الدکتور محمود المظفر ----- ۱۶
مقدمه المؤلف ----- ۱۷
اشاره ----- ۱۷
۱ تأثیر العقیده علی المؤرخ ----- ۲۴
۲ اضطراب التاریخ ----- ۲۵
۳ خطه الکتاب ----- ۲۷
تمهید ----- ۳۱
الفصل الاول: مَوقِف النَّبی تجَاه الخَلافَه.. ----- ۳۹
اشاره ----- ۳۹
(۱ هل کان یعلم بأمر الخلافه ؟) ----- ۴۰
۲ هل وضع حلا للخلاف ؟ ----- ۴۱
۳ ایکال الامر الی اختیار الأمه ----- ۴۳
۴ لا نص فی قاعده الاختیار ----- ۵۲
۵ اختلاف امتی رحمه ----- ۵۴
۶ الاجماع علی قاعده الاختیار ----- ۵۶
۷ النص علی أبی بکر ----- ۶۰
۸ النص علی علی بن أبی طالب ----- ۶۷
الفصل الثانی: تدبیر النبی لمَنع الخِلاَف.. ----- ۸۳

اشاره ---- ۸۳
(أ بعث اسامه) ---- ۸۴
ب ائتونی بکتف و دواه ---- ۹۲
الفصل الثالث: بیعَه السقیفه.. ---- ۱۰۳
اشاره ---- ۱۰۳
(۱ الدوافع لاجتماع السقیفه ---- ۱۰۴
۲ نفسیه الأنصار ---- ۱۰۷
۳ الأنصار حزبان ---- ۱۱۱
۴ هل مات النبی محمد...؟ ---- ۱۱۷
۵ وصول النبأ باجتماع الأنصار ---- ۱۲۸
۶ تأثیر دخول المهاجرین فی اجتماع الأنصار ---- ۱۳۲
۷ تأثیر خطب أبی بکر علی المجتمعین ---- ۱۳۴
۸ نقاش المهاجرین و الأنصار ---- ۱۴۱
۹ المهاجرون یربحون الموقف ---- ۱۴۵
۱۰ - النتیجه ---- ۱۴۹
الفصل الرابع: عَلی مَع الخلفاء.. ---- ۱۵۳
اشاره ---- ۱۵۳
(۱ - الافتیات علی الامام) ---- ۱۵۴
۲ رأیه فی بیعه السقیفه ---- ۱۵۵
۳ الموقف الدقیق ---- ۱۵۸
۴ سلوکه مع الخلفاء ---- ۱۶۴
علی هامش السَّقیفَه ---- ۱۷۲
نص رساله الاستاذ عبد الله الملاح حول کتاب السقیفه ---- ۱۷۹
نص رساله الشیخ المظفر رداً علی رساله الاستاذ الملاح إلی حضره الأخ الفاضل عبد الله الملاح المحترم ---- ۱۹۱
اشاره ---- ۱۹۱
البحث الأول ---- ۱۹۲

فى البحث الثانى ---------- ٢٠١
فى البحث الثالث ---------- ٢٠٢
فى البحث الرابع ---------- ٢٠٤
فى البحث الخامس ---------- ٢٠٥
فى البحث السادس ---------- ٢٠٨
فى البحث السابع ---------- ٢١٢
أهم مصادر الكتاب ---------- ٢١٥
تعريف مركز ---------- ٢١٨

السقیفه

اشاره

سرشناسه : مظفر، محمدرضا، ۱۹۶۴ - ۱۹۰۴

عنوان و نام پدیدآور : السقیفه / محمدرضا المظفر. ویلیه علی هامش السقیفه / محمود المظفر

مشخصات نشر : قم : موسسه انصاریان ، ۱۴۱۵ق . = ۱۳۷۳.

مشخصات ظاهری : ص ۲۰۷

یادداشت : چاپ سوم : ۱۴۲۱ق . = ۱۳۷۹

یادداشت : چاپ چهارم : ۲۰۰۴م . = ۱۴۲۴ق . = ۱۳۸۲

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

عنوان دیگر : هامش السقیفه

موضوع : سقیفه بنی ساعده

موضوع : مظفر، محمدرضا، ۱۹۶۴ - ۱۹۰۴. السقیفه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده : مظفر، محمود. هامش السقیفه

رده بندی کنگره : PB۴۵/۳۲۲ /م ۶س ۷ ۳۷۳۱

رده بندی دیویی : ۲۵۴/۷۹۲

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۵-۳۰۰

ص :۱

اشاره

السقيفه

محمدرضا المظفر. ويليه على هامش السقيفه

محمود المظفر

ص :٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ص :۵

الفهرس

ص :۶

الفهرس

ص :٧

الفهرس

ص :٨

مقدمات التحقيق

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم: الدكتور محمود المظفر

الاستاذ فی کلیه الفقه بالنجف الاشرف

یعد موضوع (السقیفه) الذی یدور البحث حوله فی هذا الکتاب: من اهم الموضوعات و ابعدها اثرا فی تاریخنا الاسلامی حیث تشابکت حوله آراء المؤرخین و الباحثین العقائدیین، و امتد فیها الجدل واسعا بینهم.. باعتباره (فتنه) وقی الله المسلمین شرها ـ علی حد قول بعض اطرافها او باعتباره (انقلابا) تطبیقا لما جاء فی قوله تعالی: (أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ).

و لذلک کان لهذا الموضوع الخطیر الذی عالجه عمنا الراحل (الرضا) قدس الله نفسه الزکیه فی کتابه الفرید المذکور آثاره و صداه البعید فی حینه بحیث صار محورا للنقد و التعلیق و مثارا للمناظرات:

فقد صدر علی اثره عن مطابع مصر کتاب (رد علی السقیفه) منسوبا الی عبد الله الحضرمی.. تناول فیه بالرد علی کتاب (السقیفه) بشکل جانب فیه الموضوعیه و اصول البحث و المناظره.

ثمّ صدر ردا علیه الکتاب الموسوم ب (رد علی السقیفه) لمؤلفه السید القزوینی احد اعلام البصره الذی تولی فیه باسهاب مناقشه الرد المذکور و معالجه موضوعاته المختلفه.

کما ظهر بعدئذ (کراس) بعنوان (علی هامش السقیفه) و هو الذی احتوی ما قدمه السید عبد الله الملاح البحاثه الموصلی الی الشیخ المؤلف من اسئله و ملاحظات، و ما توفر علیه المؤلف من اجابات و ایضاحات لها.

لقد کان من رغبتنا ان نقوم بجمع الاصل و الردود المذکوره مع ما کتب من ایضاحات او تعلیقات رددتها بعض الکراریس و المجلات فی مجلد ضخم واحد، یعرض المشکله محرره باقلام اطرافها.. بید ان محاوله تستر مؤلف کتاب (رد علی السقیفه) وراء اسم عبد الله الحضرمی المذکور الذی لا واقع له فیما ظهر لنا، الامر الذی یتطلب استجازه صاحبه الحقیقی فی اعاده نشره، مضافا الی ان المؤلف نور الله ضریحه لم یشأ فی حینه ان یعلق علی واحد من تلک الردود او التعلیقات خلا تلک الاسئله و الاستفسارات التی وجهها الیه الاستاذ الملاح و التی اثرنا الحاقها مع اجوبتها فی آخر الکتاب.

ان هذا و نحوه دعانا بالفعل الی العدول عن تحقیق فکره المجمع هذه، مفضلین اعاده نشر الکتاب ملحوقا به الهامش المذکور وحده لما احتواه هذا الهامش من اسئله و اجوبه قد تساعد کثیرا علی توضیح و تعمیق بعض مسائل الکتاب.

علی انی لا اجد فی هذا الحین اکثر ثمره و عطاء من التوسع فی نشر هذا الکتاب نفسه و تعمیمه بین الفئات المتطلعه الی هذا النوع من الدراسات التحلیلیه و الموضوعیه لذلک بودر باعطاء الاجازه لنشره هذه المرات العدیده التی جاوزت السبع بما فیها

هذه الطبعه.. سواء ما نشر منه فی لغته الاصلیه او فیما ترجم الی اللغات الاخری من فارسیه و اوردیه.

هدانا الله تعالی جمیعا سواء السبیل و شد من أزرنا کامه اسلامیه واحده تسعی وراء الحقیقه.

النجف الاشرف

۱۷ ربیع الاول ۱۴۰۰ ه.

محمود الشیخ محمد حسن المظفر

مقدمه المؤلف

اشاره

کان المجمع الثقافی الدینی لمنتدی النشر قد اشرف

علی نشر الکتاب فی طبعته الثانیه، و قد سجل هذه

الکلمه القیمه التی نعید نشرها فی هذه الطبعه معتزین

بها.

۱

موضوع هذا البحث قدیم جدا و قد سبق ان عالجته عشرات الاقلام فی مختلف العصور و کان مسرحاً لکثیر من عواطف الکتاب تلاعبت فیه بأسالیبها الخطابیه التی لا یراد بها غیر ترکیز عقیده اصحابها من طریق اللف و الدوران و لم یسلم من آفاتها الا القلیل.

و علی کثره من کتب فیه فی عصرنا الحاضر لم اجد فی الغالب من اخضعه للتطور فغیر فی مناهج البحث، و جدد فی طریقه الاستنتاج و بدل فی اسالیب العرض الی ما یلائم

اذواق العصر فكانت حاجته كبيره الى من يعالجه معالجه موضوعيه مجرده من ناحيه، و يأخذ بيده الى حيث يرجى له من التطور الذى تقتضيه مناهجنا العلميه الحديثه من ناحيه اخرى.

و اشتدت الحاجه قبل عده من سنين حين كثر البحث فى هذا الموضوع كثره تلفت اليها الانظار و حين ازدحمت عليه العواطف فأساءت استغلاله و تركته عرضه لاحداث و مشاكل اجتماعيه يذكر الكثير من القراء مدى مفعولها فى هذه الاوساط و كان لا بد لهذا الطغيان العاطفى من احداث رد فعل فى نفوس بعض الباحثين المجردين ممن تهمهم رسالتهم العلميه قبل كل شىء.

و كان سماحه شيخنا العلامه المظفر مؤلف هذا الكتاب فى طليعه اولئك الباحثين كما كان كتابه هذا نتيجه لرد الفعل الذى احدثه ذلك الطغيان.

٢

اما الكتاب فقد وفق فى عده نواحى وُفق فى نظرته لبحثه نضره موضوعيه خالصه لا يلمس فيها للمؤلف أيه عاطفه و لا يدرك فيها أى تحيز و اذا قدر له ان ينتهى فى بحثه الى حيث تنتهى عقيدته المذهبيه فليس ذلك الا ـ لان منهجه العميق انتهى به الى هذه النهايه، و وفق فى منهجه العلمى الدقيق القائم على التماس ملابسات شتى القت كثيرا من الاضواء على هذه الحادثه التاريخيه بالاضافه الى ما عرض من النصوص الوارده فيها خاصه ناقدا لها جميعا نقدا دلاليا دقيقا مجليا مفاهيمها

على حسب ما يقتضيه الفن معتمدا فى ذلك اصح الطرق الموصله اليها مختارا من الاحاديث ما اتفق عليه الثقات من ائمه الحديث لدى الطائفتين المسلمتين، و وفق اخيرا فى اسلوبه فى العرض و تنظيمه لبحثه تنظيما فنيا ينتهى بك الى نتائجه من اقرب الطرق و ايسرها ببيان رائع جذاب.

و الحق ان الكتاب يعتبر مرحله تطوريه مهمه اوصل بها المؤلف هذا البحث الى عصره الذى يعيش فيه و هو من الكتب القلائل فى هذا الموضوع التى ادت وظيفتها كامله.

٣

و لعل القارئ الكريم يود ان يعرف مدى اثر هذا الكتاب فى نفوس الباحثين و المعنيين بهذه الشئون و كيف استقبلوا بحوثه الحره و إلى أى مدى كان اقبالهم عليه او اعراضهم عنه، و الحقيقه ان الناس لم يتفقوا عليه بحال فقد انقسموا حوله طائفتين رضيت عنه اولاهما و حمدت لمؤلفه اسلوبه المجرد و اطرته اطراء عاطرا و خير من يمثلها من الاعلام سيد هذا الفن فى عصرنا الحاضر سماحه آيه الله العلامه الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين مؤلف كتاب المراجعات و غيره مما يعتبر فتحا فى البحوث الكلاميه التى خضعت للمنهج العلمى فى عصرنا الحاضر فقد كتب حفظه الله الى مؤلفه كتابا يعرب فيه عن رأيه فيه و فى مؤسسته التى يرأسها، نذكره هنا بنصه اعتزازا بثقته بالكتاب و اكبارا لرأيه

بالمؤسسه التی احتضنها المؤلف و اعتبر بحق، رائدها الاول و حافظ سیرها و توازنها منذ تأسیسها حتی الیوم و هذا نص الکتاب:

بسم الله الرحمن الرحیم

السلام علی امیر المؤمنین و سید الوصیین و رحمه الله و برکاته

ایـد الله شـیخنا العلامه البحاثه المجاهـد الشـیخ محمد رضا المظفر و اعز اقطاب مجمعه الثقافی الدینی لمنتدی النشـر و سـلام الله علیه و علیهم وحی الله منهم ارواحا طیبه طاهره تصدع بالحق فی منتداه الکریم.

و بعد فقد اخذت هدیتکم القیمه کتاب (السقیفه) بعین الشکر ثمّ استشففت فیه اثر الجهد النبیل الجدیر بالمؤسسه العلمیه الطالعه بما انتظمه من سلامه البحث و سمو التفکیر و حسن الأداء علی وجه سد فراغا فی المطبعه النجفیه.

و کنا فیمن عقـد الامل (بالمنتدی) یوم تأسـیسه و ناط به الرجاء ان یکون له الاثر المحمود فی توجیه الناشـئه الدینیه و بناء الجیل الطالع و تجدیـد میراث النجف فی بعث یلائم التطور الحاضـر و یماشـیه فی مداه الطویل و وسائله المنوعه و ذلک انی رایت من قدیم ان الهدی لا ینتشر الا من حیث ینتشر الضلال و علی هذا رجوت ان تکون المطبعه و تنویع المنهج

الدراسی و احیاء العلوم الاسلامیه المذخوره کل هذا من رساله منتداکم المرجو و لم تخلفوا الظن و لله الحمد فان الذی یبلغنا من اخبارکم الساره و آثارکم النافعه یثلج الصدر و ینعش الامل و لیس شیء کأثرکم الاخیر هذا السفر الجلیل داعیا الی الاطمئنان و الاستبشار بمستقبل نیر یضع النجف الاشرف فی مکانه الاسمی و محله الارفع و السلام علیک و رحمه الله

عبد الحسین شرف الدین

و لهذا الکتاب الکریم نظائر من الکتب من اعلام الباحثین الذین یألفون هذا النمط من التفکیر ترکنا ذکرها الآن اکتفاء بهذه الرساله الجلیله. أما الطائفه الاخری التی لم یبد انها ارتاحت لهذا الاسلوب من البحث و اعتادت علی مواجهه مثله بأعصاب متوتره توجهها العاطفه حسبما ترید فخیر من یمثلها مؤلف کتاب (رد علی السقیفه) و هذا الرد اذا استثنینا منه ما حشد فیه مؤلفه من الفاظ السباب الخارجه علی آداب البحث و التی یفزع الیها العاطفیون عاده اذا اعوزتهم الحجه لم یخلص لنا منه الا القلیل.

و هذا القلیل وضع فی حضرته للنقد و الجدل مقیاسا لا نتفق علیه معه بوجه و ما ادری الی أی حد یتفق معه الآخرون من باحثی قومه علیه فهو یری کما یبدو من مجمع الکتاب ان المقیاس لدیه فی کل شیء یتعلق بالموضوع هو

میوله الخاصه، فالاحادیث التی لا تتفق معها احادیث موضوعه و ان اجمع ثقات المحدثین من الطرفین علی تصحیح اسانیدها مع ان بعضها متواتر لا یشک بصدوره عن النبی (صلی الله علیه و آله) بحال، و الاحادیث التی توافق هواه صحیحه و ان حکم ارباب الجرح و التعدیل من قومه بوضعها و شخصوا الواضع و عینوه، و مدالیل الاحادیث یجب ان تصرف عن ظواهرها اذا لم تؤیده و ان خرج الکلام علی الاصول الموضوعه فی هذا الفن الی آخر ما هنالک مما لا یقتضی التعرض له فی صدور هذا الکتاب علی ان هذا لیس غریبا علی حضرته ما دام یواجه التأریخ بهذه الذهنیه، و لکن الغریب من مجله مصریه تنطق بلسان هیئه محترمه قرأ محرروها الرد و لم یقرءوا الاصل فاستعاروا منه اسلوبه فی الشتم و نحوا علی الکتاب و صاحبه باللوم و التقریع مع ان (التبین) کان الیق بهم و بمکانتهم العلمیه لئلا یصیبوا قوما بجهاله فیصبحوا علی ما فعلوا نادمین.

۴

و علی أی حال فإن لجنه المجمع الثقافی الدینی لمنتدی النشر لم تجد ما یصلح للرد علی هذا و امثاله اکثر من السماح للناشر الفاضل الشیخ محمد کاظم الکتبی باعاده طبعته للمره الثانیه و تمکین القارئ الذی لم یقدر له الحصول علی نسخه منه من الاطلاع علیه ترکه للقراء وحدهم حق الحکم له او علیه، و لا یفوتنا ان نشکر الناشر علی ما بذل فی

نشره من جهد و نسأله تعالی اخیرا ان یلهمنا جمیعا الصواب و السداد.

۵ رمضان سنه ۱۳۷۲ ه

ص:۱۵

۱ تأثیر العقیده علی المؤرخ

بسم الله الرحمن الرحیم

و له الحمد علی سوابغ آلائه. و الصلاه و السلام علی نبیه و آله و صحبه النجباء.

من اشق الفروض علی المؤرخ ان نفض عن ردائه غبار التعصب لنزعاته الشخصیه من دینیه أو قومیه أو وطنیه و نحوها. بل لعله من شبه المستحیل ان ینزع من قلمه لحاء عقائده و أهوائه. فان النفس تلهم عقل صاحبها التصدیق بمیولها و عواطفها، و کثیرا ما تقف سدا منیعا بین بصیص عقله و الحقیقه، و إن حاول ان یخرج من نفسیته التی ورثها و نشأ علیها. و یتحلل فکره من أسرها و سجنها لیحلق فی جو الحق الطلیق. و اذا رأیت طائرا أسعده الحظ فتحرر من سجنه فالحقه اذا کنت حرا مثله، فستجد ان جناحه مثقل بغبار

السجن، و ارجله لا تزال متأثره بالقيود، فيختلج فی رفيفه و يتثاقل فی طيرانه، و قد يهوی أحيانا الی الهوه غير مختار.

هـذا من حـاول ان يتحرر من شخصـيته الاعتقـاديه و تأثيرهـا عليه. امـا من يؤرخ لأجـل غـذاء عقيـدته، أو يؤلف ارضـاء نفسه أو محيطه، فاقرئه ألف سلام! و أرجو من الله تعالی ان يوفقنی لئلا أكونه.

و أظننی غير مبـالغ اذا قلت: إن المؤرخين من السـلف علی الأـكثر و أقول (علی الاـكثر) اذا أردت الاحتيـاط فی القول كـانوا من النوع الثـانی. بـل حـتی المؤرخين النوع الثـانی. بـل حتی المؤرخين فی عصـرنا لاـ يخرجون عن هـذه الطريقه علی الغـالب. و إن تظاهروا بحريه الرأی و انصاف الواقع و الحق، فظهر جليا بالرغم علی المؤرخ نزعته علی قلمه و يتماشی تأريخه و تأليفه مع الروح التی يحملهـا، فيختـار من الاحـاديث ما لا يفسـد عليه رأيه، و لا يصـدق إلا بما يجری علی هواه. فكم يكون الرجل عنـده كـذابا وضاعا، لأنه نقل ما لا يتفق و مبادئه، و كم يكون عنده صدوقا لأنه لم يرو إلا أحاديث تؤيد طريقته.

۲ اضطراب التاريخ

و هناك بلاء منی به التاريخ الاسلامی خاصه حماه

بـالغموض و الشـک عن الباحثين المنصـفين. ذلک کثره ما لفقه الوضاعون و الـدساسون فی القرون الاولی من الهجره، لا سـيما القرن الاول فاشاحوا بوجه الحقائق و قلبوها رأسا لعقب.

و ليس أدل علی ذلک من التناقض و الاضطراب الموجود فی اکثر احاديث الوقائع التاريخيه، فضلا عن الاحکام الشرعيه، ما عدا الاختلاـف فی خصوصـيات الحوادث و الاحکام مما يـذهب بالاطمئنان الی کل حـديث. و لا اظن ناظرا فی التاريـخ لا يصـطدم بهذه الحقيقه المره. و لا يمکن ان يحمل کل ذلک علی الغلط فی النقل و الغفله فی الروايه.

و لنعتبر بـأهم حـادثه يجب اتقانهـا عاده، مثل يوم وفاه الرسول صـلی الله عليه و آله و سـلم، فانک تعلم کيف وقع الاختلاف فی تعيين اليوم من الشـهر بل فی تعيين الشـهر. و هذا أمر شهده جميع المسلمين و هزهم هزا عنيفا فلا يمکن ان يفرض فيه النسيان او الغفله. فما ذا ننتظر بعـد هـذا من تاريـخ حروبه و احواله، و من نقل اقواله و احاديثه لا سـيما فيما يتعلق بالشـئون التی اختلف فيها المسلمون فتحاربوا عليها، او تشاتموا لاجلها فکفر بعضهم بعضا.

و لعل اسباب الوضع ثلاثه اشياء:

۱ حب تأييـد النزاعات و العقائـد، فيغری علی الکـذب و لعل ذلک يخـدعه بأن الرأی الـذی يعتقـده حقا يسوغ له الوضع، ما دام الموضوع فی اعتقاده هو او شبيه به.

۲ حب الظهور و التفوق فقد كان للمحدث فی العصور الاولی المنزله العظیمه بین العامه، و بالحدیث كان التفاخر و التقدم، و یمتاز من كان عنده من الحدیث ما لیس عند الناس، فأغری ذلك ضعفاء العقول و عبده الجاه، فاحتالوا للحدیث من كل سبیل، حتی من طریق الوضع و التزویر.

۳ ما بذله الامویون و اشیاعهم من كل غال و رخیص للمحدثین علی وضع ما یؤید دسیستهم و ملكهم و اهواءهم، و لا سیما فیما یحط من كرامه آل البیت، و فیما یرفع من شأن اعدائهم و خصومهم، فكثرت القاله یومئذ و اتسع الخرق، حتی طعن الاسلام طعنه نجلاء لم یبرأ منها الی یوم الناس هذا.

۳ خطه الكتاب

فلذا و ذاك أصبحت، و انا كثیر الشك و التحفظ فی جمله مما ینقله المؤرخون و المحدثون، و أقف حائرا عند كل حدیث یتعلق بالخلافات المذهبیه خاصه.

فكیف بی، و انا اقحمت نفسی فی البحث عن اول حادث فی الاسلام نشب فیه الخلاف بعد الرسول و انشق فیه المسلمون طائفتین ذلك حادث (السقیفه)!.

كيف بى، و قـد وقفت بين نفس تطالبنى بأن ارضـيها فى عقيـدتها، و بين تأريخ هذا حاله قد احيط بالشـكوك و الشـبهات و قد كتب فى الحادثه الطرفان، فشرقت طائفه و غربت اخرى.

و لكنى اريد الآن ان أتحرر من عقيدتى و اتمرد على نفسـى فأقف حرا على نشـز من الانصاف و التروى، و أمسح عن عينى غبار التعصب لأـرى تلك الحقيقه الواحـده و هى واحـده فى كل شـىء فهل ارانى اسـتطيع علاج ما بى ؟ هـذا ما أشـكه فى نفسـى و واجب على الا اثق بها، فما السبيل إذن ؟ ثمّ ما ذا سأصنع فى علاج الناحيه الاخرى: ناحيه التاريخ المظلم ؟

انها لمزله للقدم، و لها ما بعدها؟.

دعنى أرجع ادراجى ؟.

لكنه الهوى فى النفس و عزيمه صـحت من عهـد المعمى من عهـد ليس بـالقريب لاـ كشف لنفسـى، او لغيرى اذا جاء لى ذلك اللغز المعمى، و من يستطيع ان يدافع ذلك من نفسه.

على انى اجد فى بحثى سلوه و متعه يلذ لى فيه ان المس بعض الحقائق عن بصيره و متعه اخرى ان اسجله انتاجا باقيا للناس.

و ايضا لما كنت احاول ان صدقتنى المحاوله ان احيط باسـرار الحادثه و فلسـفتها و نتائجها، فلا يكون ما اكتبه تأريخا مجردا جافا و احدوثه خاليه من ذوق، فان ذلك يستحثنى على

المضی فی البحث و یشجعنی علی اخراجه للناس. و ان کان فیه صعوبه اخری قد تقحمتها وجب الی عبؤها الثقیل.

و بعد التفکیر و المحاولات مده طویله هدیت الی شیء واحد بالاخیر ارجو ان ابتعد بسببه عن تأثیر العواطف و لعبها بالعقول و اقترب من الحق و الصدق، هو ان اکثر من مراجعاتی لمؤلفات من اخالفه فی الرأی من ناحیه مذهبیه، بل اجعلها هی المصدر فی البحث و ظنی ان بهذا سیحصل التفاعل من الجانبین: عقیدتی و هذه المصادر، لینتج ما قد یسمونه (الوسط فی الرأی) او تکون الحقیقه قد اهتدیت الیها بهذه الحیله، إن طاوعتنی.

و قد اخذت علی نفسی فی هذا الکتاب ان اسجل خلاصه مطالعاتی و محاکماتی التاریخیه، بعد ان سبرت کثیرا من المصادر القدیمه التی اشرت الیها آنفا، فاذا کنت اذکر حدیثا او حادثا تأریخیا توافرت المصادر علی ذکره و توثیقه، فانی لا اذکر معه تلک المصادر توفیرا علی القارئ خشیه إعناته بدون جدوی، الا بعض الاحادیث التی ینفرد بها مصدر او مصدران، فانی اضطر اضطرارا الی ذکر المصدر فی التعلیقه تنویرا لذهن القارئ غیر المتتبع.

و کل جهدی ان اضع بین یدی القراء صوره مصغره مما اهتدیت الیه من افکار، ارجو ان تکون خالصه من تأثیر

العواطف و النزعات حره هی الحق کله او قریبه من الحق، و بالله التوفیق و منه التسدید.

شهر رمضان ۱۳۵۳ هجریه

المؤلف

محمد رضا المظفر

ص:۲۲

تمهید

بسم الله الرحمن الرحیم فی عام ۱۱ للهجره یفعل الدهر فعلته الأولی، فیقلب صفحه من صفحات التاریخ الاسلامی المجیده کتبت بأحرف من النور الالهی. کلها ایمان و صدق، جهاد و تضحیه، فخر و قوه، عز و مجد، عدل و رحمه، اخوه و انسانیه.

یقلب الدهر هذه الصفحه الناصعه بالخیرات و الفضائل، بأفول ذلک النور المقدس من الأرض، فیستقبل بالمسلمین صفحه من کتابه التکوینی مشوشه الخط قال عنها الکتاب التشریعی: (أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ ...). لا شک عند من یعترف بالقرآن الکریم وحیا إلهیا لا ینطق صاحبه عن الهوی، فی ان هذا الحادث التاریخی العظیم بموت منقذ الانسانیه، کان حدا فاصلا بین عهدین یختلفان کل الاختلاف: ذاک اقبال بالنفس و النفیس علی الحق تعالی، و هذا انقلاب عنه علی الأعقاب. إذن نحن الآن أمام أمر واقع:

مات النبی صلی الله علیه و آله و سلم!

ص:۲۳

و لا بد أن يكون المسلمون (كلهم ؟ لا أدرى الآن) قد انقلبوا على اعقابهم.

و لكن... بأى حادث كان مظهر هذا الانقلاب ؟.

***

اعطنى من نفسك أيها القارئ و فكر بحريه، و التمس لى حادثا ذا بال وقع بعد وفاه صاحب الرساله مباشره، فنضح برذاذه جميع المسلمين، فهل تجد غير حادث (السقيفه)؟ ما أعظمه من حادث! و هل تدرى ان الشيعه تفسر الآيه الكريمه به ؟.

فاذا اردنا الآن أن نبحث عن (السقيفه)، فإنما نبحث عن اعظم حدث فى الاسلام، و اول حوادثه بعد الوفاه، له علاقته الخاصه بالآيه الكريمه، أ تفسر به أو لا؟.

و على هذا الاساس قلت فى المقدمه شرق فيها قوم و غرب آخرون فدخلت العقائد و الأهواء فى سرد الحادثه، فكانت ذات ألوان و وجوه يكد فيها الباحث، و يجهد مستهدف الحقيقه.

***

و ما على لو أدعى قبل الدخول فى بحث السقيفه ان الآيه الكريمه تفسر بحوادث الرده التى وقعت فى خلافه ابى بكر.

و لکنی لا اطمئن الی هذا الاحتمال، ما دامت الآیه تشعرنا بأن الانقلاب یقع بعد موت النبی مباشره، و ما دامت هی خطاباً لجمیع المسلمین، و اهل الرده کیفما فرضناهم هم اقل القلیل من المسلمین، بل فی العدوه القصوی منهم.

و فوق ذلک نجد ان عمده من نسمیهم بأهل الرده هم المتنبئون و اشیاعهم، کمسیلمه و اتباعه، و طلیحه و اولیائه. و هؤلاء کانوا فی عهد النبی و استغلظ امرهم بعده، ما عدا سجاح التمیمیه، و ما کان لها کبیر شأن و قد اندمجت بمسیلمه.

اما الأسود العنسی فقد قتل فی حیاه الرسول و لازم انصاره طریقته بعده. و علقمه بن علاثه ارتد فی زمانه صلی الله علیه و آله. و مثله ام رفل سلمی بنت مالک و تابعوها.

أ فیصح ان نقول: إن هؤلاء انقلبوا علی الاعقاب بعد النبی، و کان الخطاب بالآیه لهم ؟ اللهم ان هذا یأبی الانصاف ان یصدق به، عند من کان له شیء من حریه الرأی و صحه التفکیر.

و مالک بن نویره(۱).

مالک وادع سجاح (و الموادعه. المتارکه و المسالمه علی ترک الحرب کما کان کعب القرضی موادعا لرسول الله).

و لیست الموادعه من الرده فی شیء و اکثر من ذلک إنما کانت

۱- (۱) و به یضرب المثل المشهور: (فتیً و لا کمالک).

منه لمصلحه المسلمين، ليرد سجاح عن غزوهم فى تلك الأصقاع النائيه عن مركز المسلمين. و كان الذى أراد.

و إن كانت تلك الموادعه ذنباً، فقد اظهر هو و قومه التوبه بعد ذلك، كما صنع وكيع و سماعه، و هما وادعا سجاح ايضا، و قبل المسلمون المحاربون توبتهما.

و هذا ابو بكر يدين مالكا إذ قتله خالد بن الوليد و خلا بزوجته ليله قتله، فهل تفسر بهذا آيه الانقلاب ؟.

و لا ذنب لمالك إذ عد من اهل الرده إلا أن قاتله بطل المسلمين يومئذ و قائدهم. و حقيق عليهم ان يدافعوا عن فعلته و يبرروا عمله. فليكن مالك مرتدا يستحق القتل! و ما يهمنا ان نشين مالكا بما يستحق و بما لا يستحق، ما دامت كرامه خالد محفوظه مصونه من النقد!.

عمر بن الخطاب يريد ان يؤخذ خالد بقتله لمالك و نزوه على زوجته و ابو بكر يعتذر عنه (انه اجتهد فأخطأ). و ما الخطأ على المجتهدين بعزيز. و هذا من اوليات ابى بكر. إذ يجعل الاجتهاد عذرا للمخالفه الصريحه للقانون الاسلامى.

و ابو بكر لم يقل لمتمم اخى مالك انه ارتد فقتل بل قال له: ما دعوته و ما قتلته، لما قال له متمم من ابيات:

ادعوته بالله ثمّ قتلته لو هو دعاك بذمه لم يغدر

نعم! التاريخ ينزه مالكا. و قضى الدفاع عن خالد ان يحكم بعض الكتاب فى هذا العصر بكفر مالك و ارتداده!.

***

و من هم أهل الرده غير هؤلاء؟.

مانعو الزكاه.

مانعو الزكاه ؟. من هؤلاء بأسمائهم و قبائلهم! ليت احدا يرشدنى اليهم! فقد وجدت التأريخ يجمجم فى ذكرهم فيحصر، و يروح و يغدو فلا يجد غير المتنبئين و اشياعهم. و أبو بكر لما قال كلمته المشهوره: (لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه)، فانما قالها عند ما جاء وفد طليحه المتنبئ المتقدم ذكره يطلبون الموادعه على الصلاه و ترك الزكاه، لا فى قوم غير المتنبئين.

و اذا كانوا و ربما كانت بعض القبائل المجهوله امتنعت عن الزكاه فهل العصيان بترك واجب، و هم يقيمون الصلاه يكون كفرا و ارتدادا؟ بأى مذهب و بأى دين ؟ فليتأول المتأولون ما شاءوا.

و لم يعرف عنهم انهم أنكروا وجوب الزكاه بقول، حتى يكونوا من منكرى ضروريات الدين الذين يعدون فى الكافرين المرتدين. و أكثر ما عرف عنهم اذا كان لهم من منكرى ضروريات الدين الذين يعدون فى الكافرين المرتدين.

و أكثر ما عرف عنهم اذا كان لهم وجود غير المتنبئين انهم امتنعوا عن أدائها.

و تغلق دعوى المدعى أن هؤلاء أنكروا بيعه ابى بكر التى كانت عن غير مشوره من المسلمين كما صرح به عمر بن الخطاب، فلم يعترفوا له بامامه و ولايه حتى يؤدوا له الزكاه. و لعلهم كانوا يطالبون بخلافه من كان النص من النبى على خلافته، فأهمل مطالبتهم التأريخ.

هذه احتمالات لا يفندها التأريخ و الاعتبار و ادعتها الشيعه فيهم، فما لنا بتكذيبها من برهان، فالأحسن لنا ألا نعترف بوجودهم كما أهمل التأريخ أسماءهم و قبائلهم.

و مهما كان الامر، فان استطاع الكاتب ان يثبت الانقلاب بأول حدث فى الاسلام، فلا يهمه ما ذا سيكون شأن الحوادث اللاحقه، بل يستعين على تفسيرها بتفسير الحادث الأول، و كفى!

و أجدنى مضطرا قبل كل شىء الى ان اقف مع القارئ على ما صنعه النبى صلى الله عليه و آله، من حل للخلاف بعده: إما فى وصيه باستخلاف أحد، او فى قاعده مضبوطه يرجعون اليها، او انه اهمل الأمر و تركهم و شأنهم، لأن هذا البحث له علاقه قويه فى موضوع بحثنا، يتوقف عليه تفسير كثير من الحوادث.

إذن سنعقد الكتاب على اربعه فصول:

الفصل الاول فى موقف النبى تجاه الخلافه

الفصل الثانى فى تدبيره لمنع الخلاف

الفصل الثالث فى بيعه السقيفه

الفصل الرابع موقف على بن ابى طالب.

ص:٢٩

الفصل الاول: مَوقِف النَّبی تجَاه الخَلافَه..

اشاره

ص:۳۱

(ا هل كان يعلم بأمر الخلافه ؟)

هل تجد من نفسك الميل الى الاعتقاد بأن النبى صلى الله عليه و آله كان لا يعلم بما سيجرى بعده: من خلافات و حوادث من اجل الخلافه ؟ و هل تراه كان غافلا عما يجب فى هذا السبيل ؟.

إذا كان لك هذا الميل فلا كلام لى معك، و ارجو منك يا قارئى العزيز على أن تلقى الكتاب عندئذ عنك و لا تتعب نفسك بالاستمرار معى الى آخر الحديث، لانى افرض قارئى مسلما يؤمن بالنبى و رسالته، و يعرف من تأريخه ما يكفيه فى طرد هذا الوهم.

فان من يمت الى الاسلام بصله العقيده لا بد ان يثبت عنده على الاقل ان صاحبه صرح فى مقامات كثيره بما ستحدثه امته من بعده فقد قال غير مره: (ستفترق امتى على ثلاث و سبعين فرقه فرقه ناجيه و الباقون فى النار).

و اكثر من ذلك انه لم يستثن من اصحابه إلا مثل همل النعم، ثمّ هم يدخلون النار بارتدادهم بعده على ادبارهم القهقرى، او يردون عليه الحوض فيختلجون بما احدثوا

بعده. و فی بعض الاحادیث: (فیقال لی: إنهم لم یزالوا مرتدین علی اعقابهم منذ فارقتهم)(۱)

و اخبرهم انهم یتبعون سنن من قبلهم شبراً بشبر و ذراعا بذراع، حتی لو دخلوا جحر ضب لتبعوهم.

و (الخلافه) امر کانت تحدثه به نفسه الشریفه، و یشیر الیها انها ستکون ملکا عضوضا بعد الثلاثین سنه. و ثبت انه قال: (هذا الأمر لا ینقضی حتی یمضی اثنا عشر خلیفه کلهم من قریش). و قال: (من لم یعرف إمام زمانه مات میته جاهلیه). و قال... و قال... الی ما لا یحصی.

و سیرته و الأحادیث عنه و ما اکثرها تشهد شهاده قطعیه علی ما کان من اختلاف امته، و علی أن الخلافه و الامامه من اولی القضایا التی کانت نصب عینیه.

---

۲ هل وضع حلا للخلاف ؟

إذن کان صلی الله علیه و آله و سلم عالما بأن الدهر سیقلب لأمته صفحه مملوءه بالحوادث و الفتن، و الخلافات و المحن، و ان لا بد لهم من خلافه و إماره.

۱- (۱) صحیح مسلم ۸:۱۰۷ و غیره

فلا بد ان نفرض انه قد وضع حلا مرضيا لهذا الامر يكون حدا للمنازعات و قاعده يرجع اليها الناس، لتكون حجه على المنافقين و المعاندين، و سلاحا للمؤمنين، ما دمنا نعتقد انه نبى مرسل جاء بشيرا و نذيرا للعالمين الى يوم يبعثون، فلم يكن دينه خاصا بعصره، ليترك امته من بعده سدى من غير راع او طريقه يتبعونها، مع علمه بافتراق امته فى ذلك.

و لا- يصح من حاكم عادل ان يحكم بنجاه فرقه واحده على الصدفه من دون بيان و حجه تكون سببا لنجاتهم باتباعها، و سببا لهلاك باقى الفرق بتركها.

لنفرض ان الحديث و التأريخ لم يسجلا لنا الحل الذى نطمئن اليه، فهل يصح ان نصدقهما بهذا الاهمال، و نوافقهما على ان النبى ترك امته سدى، و فى فوضويه لا حد لها يختلفون و يتضاربون، ثمّ يتقاتلون، و تراق آلاف آلاف الدماء المسلمه، ساكتا عن اعظم امر مُنى به الاسلام و المسلمون، مع انه كان على علم به ؟.

و لو كنا نصدقها مستسلمين لكذبنا عقولنا و تفكيرنا، فان الاسلام جاء رحمه لينقذ العالم الاسلامى من الهمجيه و الجاهليه الأولى، فكيف يقر تلك المجازر البشريه فى اقصى حدودها، تلك المجازر التى لم يحدث التأريخ عن مثلها و لا عن بعض منها فى عصر الجاهليين.

فما علينا إلا ان نتهم التأريخ و الحديث بالكتمان و تشويه الحقيقه بقصد او بغير قصد. و لئن لم يكن محمد نبياً مرسلا يعلم عن وحي و يحكم بوحي فليكن على الاقل اعظم سياسي في العالم كله لا اعظم منه، فكيف يخفى عليه مثل هذا الأمر العظيم لصلاح الأمه بل العالم بأسره مدى الدهر، او يعلم به و لا يضع له حدا فاصلا؟.

و هل يرضى لنفسه عاقل يتولى شئون بلده فضلاً عن امه، ان يتركها تحت رحمه الاهواء و اختلاف الآراء و لو لأمد محدود، و هو قادر على اصلاحها او التنويه عن اصلاحها، إلا ان يكون مسلوبا من كل رحمه و انسانيه ؟ حاشا نبينا الاكرم من جاء رحمه للعالمين و متمما لمكارم الاخلاق و خاتما للنبيين! و قد قال الله تعالى على لسانه بعد حجه الوداع:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ).

و قد وجدناه نفسه لا يترك حتى المدينه المنوره، اذا خرج لحرب او غزاه، من غير امير يخلفه عليها، فكيف نصدق عنه انه اهمل امر هذه الامه العظيمه بعده الى آخر الدهر، من دون وضع قاعده يرجعون اليها او تعيين خلف بعده.

۳ ايكال الامر الى اختيار الأمه

لنختار الآن لحل هذه المشكله انه صلى الله عليه و آله

و سلم أوكل امته الى اختيارهم، او الى اختيار اهل الحل و العقد منهم خاصه فى تقرير شئون الخلافه. فهل يصح هذا الفرض للحل ؟.

اما انا ايها القارئ لا استطيع ان اقتنع بأن هذا الفرض يكون حلا مرضيا لهذه المشكله، و لعلك انت ترى مع من يرى ان تعيين الرئيس بالانتخاب من ارقى التشريعات الحديثه و قد سبق اليه الاسلام، فهذا من مفاخره.

فوجب علينا ان نبحث هذه الناحيه العلميه بدقه، و املى كما هو مفروض انك تعطينى من نفسك النصف و تفكر معى تفكيرا حرا، بعيدا عن تأثير العاطفه التى تقضى علينا ان نتمسك بهذه المفخره للاسلام.

و لا ينبغى لنا ان نحاول هذه المحاوله، فربما نلصق به ما ليس له، و لعلها لا تثبت للبحث مفخره يمتدح بها، فنكون قد نقضنا غرضنا الذى نريده من إثبات الفضيله للاسلام بالسبق الى هذا التشريع.

و الذى ادعيه الآن ان إرجاع الأمه مدى الدهر الى اختيارها فى تعيين الرئيس لها هو عين الفوضويه التى اردنا التخلص منها فى البحث السابق، و ليس معناه إلا إلقاء الأمه فى اعظم هوه من الخلاف لأحد لها و لا قعر.

و سر ذلک ان الناس مختلفون متباینون، لیس بینهم اثنان یتفقان فی فکر أو عاطفه أو ذوق أو عاده أو عمل، حتی التوأمین، إلا من التشابه القریب أو البعید من غیر اتفاق حقیقی، کاختلافهم فی أجسامهم و سحنات وجوههم، و تشابههم فی ذلک. بل الناس مختلفون فی کل شیء من دقائق أجسادهم و أخلاقهم و نفوسهم و عاداتهم فلم یتفق لشخصین أن یتفقا تحقیقا حتی فی بصمه الأصابع، حتی قیل ان کل فرد من الانسان نوع برأسه.

و علیه، فیستحیل أن تتفق أهل بلده واحده علی حکم واحد أو عمل واحد، فضلا عن أمه کبیره کالأمه الاسلامیه علی توالی الزمان. و بالأخص اذا کان الحکم مسرحا للعواطف و الأغراض الشخصیه و التحیزات کالحکم فی الزعامه العامه.

و من هذا نستنتج ان الرأی العام الحقیقی غیر موجود أبدا، بل یستحیل وجوده لأیه امه فی العالم، و من خطل الرأی أن یطلب الانسان تکوین الرأی العام، و توحید اختیار الأمه بأسرها لأمر من الأمور، علی ان محاوله ذلک یستحیل أن تسلم من منازعات دمویه و اضطرابات شدیده اذا کان تکوینه یراد لأمر ذی شأن، إلا أن یکون هنا حاکم یفصل بین المتنازعین بما له من القوه القاهره لمخالفیه، کما هو موجود فعلا فی الانتخابات الجاریه عند الأمم المتمدنه، فان تحکیم الأکثریه ذات القوه الطبیعه خیر علاج علی منازعاتهم فی الامور العامه.

و تحکیم الاکثریه فی الحقیقه فرار من محاوله تکوین الرأی العام الحقیقی، بل هو اعتراف باستحالته، و مع ذلک لم یستغن غالبا الرجوع الی الأـکثریه لیکون لها الفصل عن ملطفات و مؤثرات اخری تنضم الی قوته الطبیعیه، أهمها سلطه الحکومه و القانون العام القاضی بتحکیم الأکثریه الذی أصبح بحکم التقلید لا مسیطرا علی معتنقیه.

و بتوسیط أمثال هذه الأمور تمکن التسویه بین الأکثریه علی رأی متوسط، و إلا فالاتفاق الحقیقی علی تفاصیل الأمور یستحیل حتی فی الأکثریه.

و هذا الرجوع الی الأـکثریه آخر ما توصل الیه الانسان بعد العجز عن تحصیل الاتفاق الحقیقی و بعد أن فشل البشر علی ممر تلک القرون الطویله التی انهکته بالتجارب القاسیه، فوجد ذلک خیر ضمان للسلام فی الأمم. و لیس معنی ذلک ان الأکثریه لا تخطأ، کیف و الجماعات دائما تفکر بأحط فکره فیها، و من مزایاها انها خاضعه لسلطان العاطفه، فهی علاج لفضّ المنازعات لیس إلا، لا لضمان تحصیل الرأی المصیب.

و بهذا البیان نخرج الی فکره ان تعیین الرئیس أو غیره بالانتخاب الذی هو من أرقی التشریعات الحدیثه معناه الرجوع الی الأکثریه دائما التی أصبحت من التقالید المرعیه عند الناس فی هذا العصر، و هذا لم یسبق الیه الاسلام، و من یدعی ان النبی صلی الله علیه و آله أوکل أمته الی اختیارهم

فی تقریر شئون الخلافه لا یدعی انه شرع قانون الاکثریه لأنه لیس لهذه الدعوی شاهد فی زبر الأولین، علی انه کما ذکرنا لا یسلم من الخطأ، فلا یسوغ لنا أن ننسبه الی من لا ینطق إلا عن وحی و لا یرید إلا الحق.

و إذا ادعی انه أوکل الأمر الی اتفاق أمته و اختیارهم جمیعا، فمن خطل الرأی، إلا اذا جوزنا علیه ان یطلب المستحیل او تعمد ایقاع أمته فی منازعات دائمیه تفضی الی ازهاق النفوس و اضعاف القوی المادیه و الأدبیه، ثمّ الی ضعف کلمه الاسلام فی الارض.

فتلخص ان هذا التشریع أعنی تشریع تعیین الامام بالانتخاب لا یصح لنا ان ننسبه الی منقذ البشریه من الضلاله الی الهدی الذی لا ینطق إلا عن وحی، سواء فسرناه بالأکثریه او باتفاق الجمیع.

***

و مهما حاولنا اصلاح هذا التشریع بتفسیر الأمه بأهل الحل و العقد منها خاصه، فلا اجد هذه المحاوله تسلم من ذلک النقص البارز فان اهل الحل و العقد و کبار الأمه هم بؤره الخلاف و النزاع. فان الخاصه مع اختلاف نفوسهم و تباین نزعاتهم کسائر الناس، لا ینفکون عن تحیزات فیهم اعظم منها فی غیرهم. و یندر ان یتجردوا من اهواء نفسیه و اغراض

شخصیه، تجعل کل فرد یشرئب الی هذا المنصب الرفیع ما هیئ له و وجد مجالا لارتقائه، و لو عن غیر قصد، بل عن رغبه نفسیه کامنه هی غریزیه لا یفطن لها صاحبها او لا یعدها باطلا و خروجا عن محجه الصواب. بل حب النفس قد یحمله علی الاعتقاد بأن زعامته اصلح للأمه واجدی، فیوحی الهوی للنفس البرهان المقنع علی صحه رأیه.

و للمعتقد ان یعتقد ان الخلیفه ابا بکر تفطن الی سوء عواقب هذا التشریع، فأسرع الی تعیین الخلیفه من بعده، بالرغم علی جده هذا التشریع الذی به کان خلیفه، و علی ترکزه فی النفوس تتوقف صحه خلافته. کیف لا و قد شاهد هو الموقف فی بیعته یوم السقیفه، و کان أدق من سم الخیاط، مع غفله الناس یومئذ عن الامر، و انشغالهم بفاجعه نبیهم.

و هکذا حذا حذوه خلیفته، فاخترع طریقه الشوری من سته اشخاص، و هی تبعد کل البعد عن قاعده الرجوع الی اختیار اهل الحل و العقد، علی ان وجدنا هؤلاء و هم سته لا غیر لم یتفقوا علی رأی واحد، فلعبت دورها التحیزات و العواطف، فصغی رجل لضغنه، و مال الاخر لصهره، علی حد تعبیر الامام علی بن ابی طالب.

و لا شک لم یخف علی الخلیفه عمر استحاله حتی اتفاق الجماعه الصغیره، فحکم فیها الأکثریه، و عند التساوی فالکفه الراجحه التی فیها عبد الرحمن بن عوف. و مع ذلک

حدد لهم الوقت بثلاثه ايام، و اعطى السلطه التنفيذيه لغيرهم، ليقهرهم على تنفيذ خطته.

لما ذا كل هذه القيود التى وضعها، مع تهديدهم بالقتل إن تأخروا عن الموعد و لم يبرموا العهد؟ لا شك انها كانت لقصد الابتعاد عن الخلاف و النزاع الطبيعى لمثل هذا الامر. اذا القى حبله على غاربه.

و هنا وجدنا كيف أحكم عمر بن الخطاب وضع هذه الخطه، اتقاء للخلاف و النزاع على الاماره الذى لا ينفك عاده عن اراقه الدماء، فى وقت اراد ألا يتحمل تبعه تعيين شخص الخليفه بعده، او انه فى الأصح لم يجد نفسه تميل كل الميل إلا لتعيين احد الثلاثه الذين قد ماتوا يومئذ، و هم ابو عبيده بن الجراح، و سالم مولى ابى حذيفه، و معاذ بن جبل.

***

و لا اعجب ان يكون ابو بكر و عمر تفطنا الى ما فى تشريع إلقاء الامر على عاتق اختيار الامه من فساد، و ما ينجم منه من جدال و جلاد. و لكن عجبى ممن يتسرع فينسب ذلك التشريع الى النبى الحكيم الذى لا يفعل إلا عن وحى و لا يحكم الا بوحى. و مع ذلك يدعى الاسلام و عرفان الرسول العظيم.

و لو كان للخليفه عثمان كلمه تسمع و رأى يطاع يوم

حوصر و أيس من الحياه؛ لما تأخر عن تعيين من يخلفه قطعا. و لكن الموقف كان ابعد من ان يتحكم عليه بمثل ذلك، و هو محاط به ليخلع.

و مما يزيدنا اعتقادا بعقم هذا الحل لمشكلتنا الاجتماعيه الخطيره، انا لم نعرف خليفه تعين بهذه الطريقه إلا ابا بكر و على بن ابى طالب، و ابو بكر كانت بيعته فتنه او فلته وقى الله شرها على حد تعبير عمر عنها و هو نفسه الذى شيد اركانها، و مع ذلك قال عنها: (فمن دعا الى مثلها فهو الذى لا بيعه له و لا لمن بايعه)(۱).

اما على عليه السلام، فبعد تمام البيعه له (الشرعيه بنظر اصحاب هذا الرأى) قد وجدنا كيف انتفض عليه نفس اهل الحل و العقد، و الإسلام بعدُ لم يرث و العهد قريب، و هؤلاء المنتقضون هم جله الصحابه. فكانت حرب الجمل فحرب صفين اللتان اريقت بهما آلاف الدماء المحرمه هدراً، و انتهكت فيهما حرمات الشريعه، و شلت بهما حركه الدين الاسلامى.

و لم نعرف بعد ذلك خليفه تعين إلا بتعيين من قبله أو بحد السيف، و لقد لعب السيف دورا قاسيا جعل العالم الاسلامى يمخر فى بحر من الدماء. و لم يجرئ الطامعين بالخلافه على

۱- (۱) كنز العمال ج ۳ رقم ۲۳۲۶ و غيره.

خوض غمار الحروب إلا سن هـذا القانون. قانون الاختيار، فمهـد السبيل لطلحه الزبير ان يشـعلا نار حرب الجمل، و مهد لمعاويه ما اجترم، و لابن الزبير تطاوله للخلافه و هو القصـير، و للعباسـيين ثورتهم على الامويين و لغيرهم ما شـئت ان تحـدث و الحديث ذو شجون.

الى هنا اجد من نفسـى القناعه و الاطمئنان الى القول بفساد تشريع تعيين الامام باختيار اهل الحل و العقد. و هيهات ان يكون من النبى الحكيم مثل هذا التشريع.

و كيف يخفى عليه ضرر هذا التشريع، و لا يخفى على عائشه ام المؤمنين يوم تقول لعمر على لسان ابنه عبد الله:

(لا تدع امه محمد بلا راع. استخلف عليهم و لا تدعهم بعدك هملا فانى اخشى عليهم الفتنه).

و ما ادرى لما ذا لم يشـر احد على محمد عليه افضل التحيات ان يسـتخلف او يبين على الاقل طريقه الاستخلاف حتى لا يفتتنوا، كما اشارت عائشه على عمر؟ و لما ذا لم يسأله احد عن هذا الأمر، و هم يسألونه عن الكبيره و الصغيره لما ذا...؟

و المرجح انه سئل فأجاب، و لكن التأريخ هو المتهم فى اهمال مثل هذه القضايا. على ان تأريخ الشيعه لم يهمل مثل هذا السؤال و الجواب الصريح عليه.

۴ لا نص فی قاعده الاختیار

لنتنازل الآن عن جمیع ما قلناه فی البحث السابق من فساد تشریع قاعده الاختیار، و لکن أ لا یجب علینا ان نسأل مدعی صدور هذا التشریع من النبی عن الدلیل علیه فی کتاب أو سنه.

و بودی ان یدلنی احد علی قول الرسول فی هذا الشأن، فما سمعنا عنه انه قال یوما: ان الاختیار فی تعیین الامام لأهل الحل و العقد، او انه امر الأمه باختیار الإمام بعده، لا تصریحا و لا تلویحا. علی ان الدواعی جد متوفره لنقل مثل هذا القول، و القوه و الحول فی صدر الاسلام الی ما بعده فی ید من یرتئی هذا الرأی و یدافع عنه، فلیس لأحد ان یدعی ان هذا الاثر قد خفی علینا او امتنع الرواه عن نقله.

أجل! إلا ان الله تعالی قال فی کتابه العزیز: (وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ یَخْتارُ ما کانَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ).

أجل! إلا ان الله تعالى قال فى كتابه العزيز: (وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ).

إذن لم يثبت عن النبى قول و تصريح فى هذا الأمر من الاتكال على اختيار الأمه، بل قال تعالى: (ما كانَ لَهُمُ

اَلْخِيَرَةُ). فلنذهب الآن من طريق ثانيه الى إثبات صحه هذا التشريع، فنقول:

(أ ليس النبى كان غير غافل عن امر الخلافه! و لكنه سكت عن الحل لمشكلتها بطريق النص على احد من اصحابه، فلا بد انه أوكل ذلك الى اختيار أمته، فيكون سكوته إذن دليلا على هذا الايكال).

و هذا يقرب من التفكير الصحيح لأول وهله، اذا استطعنا التصديق بسكوته عن النص فلذلك لا يصح إلا اذا ثبت لنا ان لا نص هناك، فوجب ان ننظر فيما تقوله اهل السنه و الشيعه من النص على ابى بكر او على بن ابى طالب. و سيأتى فى البحث (٧) و (٨).

و لكن لو فكرنا قليلا، فلا نرضى لمصلح عاقل فضلا عن النبى الكريم ان يرمز لهذا الأمر العظيم الذى وقع فيه اعظم خلاف فى الامه بمثل هذا الرمز الخفى. و ما الذى يلجئه الى مثل هذا الدليل الصامت إن صح هذا التعبير مع علمه بما سيقع بعده من انشقاق و خلاف تتسع شقته هذا الاتساع، و تتخلله فتن و حروب أنهكت المسلمين و أفسدت روحيه الاسلام ؟!.

أما كان الجدير اذا لم يكن قد نص على احد ان يصرح لامته بايكال الأمر الى اختيارهم ؟ ثمّ يحدده باختيار اهل الحل و العقد منهم، او يحدده بخصوص اهل المدينه او

ص:

اهل عاصـمه الخلافه، ثمّ يكتفى باختيار الواحد و الاثنين منهم (على ما يذهب اليه جماعه من علماء اهل السنه)، ثمّ يذكر شروط الامام حتى يعرفوا من يجب ان يختاروه!

أ كل هـذه الامور و القيود نسـتقيها من هـذا الـدليل الصامت و يكون هـذا السـكوت حجه على من يشـككك فى واحـد من هـذه الشئون فيستحق عقاب الخالق الجبار، ثمّ مع ذلك يخرج عن ربقه الاسلام و يدخل فى زمره الكافرين ؟!.

اللهم اشـهد على انى لا أسـتطيع ان أؤمن بصـحه دليل صامت يدل هذه الدلاله الواسـعه على اعظم الشئون العامه التى يعم بلاؤها جميع الخلق فى كل زمان و مكان، فى وقت الحاجه الى دليل ناطق و حجه واضحه.

اللهم اشهد انى لا استطيع ان أؤمن بذلك إلا اذا فقدت حريه التفكير و مسكه العقل.

۵ اختلاف امتى رحمه

و أخشى الآن أن أكون قد أخذت بقلمى النعره المذهبيه فى بحثى السابق، فبالغت فى تشويه تلك الدعوى و خرجت عن خطتى التى رسمتها لنفسى.

و هل ترانى اخفف وطأه من تلك السوره، فأطمئن الى

تعليل مقبول لذلك الصمت، بأن أقول: إن الرسول إنما ترك بيان هذا الأمر ليوقع الخلاف بين امته رحمه بهم لما روى عنه: (اختلاف أمتى رحمه)؟.

و لكن هيهات! إن لم تؤول الكلمه بما يتفق و مبادئ الاسلام(۱) فانها الكذب الصراح على داعيه الوحده و مقاتل نزعات الجاهليه الاولى بسيف من الاخوه الاسلاميه انتشل العرب من هوه عميقه للتفرق و النزاع و النزال.

إن أكبر ظاهره للاسلام بل من أعظم أعماله، تلك الدعوه الى الوحده المطلقه بأوسع معانيها و تحطيم الفروق حتى بين الشعوب و الامم المختلفه. ألا (إنما المؤمنون إخوه).

۱- (۱) هذه الكلمه مرويه من طرق الطرفين. و الوارد فى تفسيرها عن آل البيت غير ما يتخيل من ظاهرها ففى علل الشرائع: (انه قيل للامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ان قوما يروون أن رسول الله قال: (اختلاف امتى رحمه)، فقال: صدقوا، فقيل: اذا كان اختلافهم رحمه فاجتماعهم عذاب، قال ليس حيث تذهب و ذهبوا انما أراد قول الله عز و جل (فلولا نفر من كل فرقه طائفه..) و اختلاف أهل البلدان الى نبيهم ثمّ من عنده الى بلادهم رحمه...) الخبر. و مثله فى معانى الأخبار للصدوق، و فيه: (انما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافا فى دين الله، انما الدين واحد).

و ليس هناك شيء فى الاسلام غنى عن البرهان بل عن البيان مثل دعوته الى الوحده و العمل لها بكل الوسائل، ليكون المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. و قد تجلى ذلك ظاهرا فى كثير من الأحكام العمليه: فى وجوب الحج و صلاه الجمعه و الجماعه و حرمه الغيبه و اللمز و الغمز و القذف... و ما الى ذلك مما لا يحصى، و بعد هذا أ يمكننا ان نجرؤ فندعى ان الرسول يدعو الى الخلاف! و أكثر من ذلك يسعى الى التفرقه، و أيه تفرقه هى ؟ إن هذا لبهتان عظيم و زور مبين! اللهم انى استجير بك من شطحات القلم و التفكير.

۶ الاجماع على قاعده الاختيار

و هنا لا بد أن ننصف فى القول فلا نجرى الكلام على عواهنه، فأنى لم أعرف عن اخواننا أهل السنه أنهم فسروا هذا الصمت المدعى بذلك التفسير إلا من قل. و على الاقل انهم لم يجعلوه وحده دليلا على ايكال أمر الخلافه لاختيار أهل الحل و العقد، و إما يستدلون باجماع أهل الصدر الاول على كفايه اختيار أهل الحل و العقد، بدليل بيعه أبى بكر يوم السقيفه. و عندهم الاجماع حجه لما روى عنه عليه الصلاه و السلام، (لا تجتمع أمتى على الخطأ) و (لا تجتمع أمتى على ضلال).

و لكن الشيعه لا يعتبرون مثل هذا الاجماع. و إنما يعتبرون الاجماع اذا كشف عن رضى امام معصوم حيث يكون داخلا فى أحد المجمعين. و بيعه أبى بكر لم تقترن بموافقه الامام و هو على بن أبى طالب فلم يتم عندهم الاجماع الذى يكون حجه.

و يـذهبون الى أكثر من ذلك، فيقولون إن الاجماع بكل معانيه لم ينعقد على صـحه بيعه أبى بكر، لمخالفه على الذى يدور معه الحق حيثما دار و مخالفه قومه بنى هاشم و سـعد بن عباده و ابنه و جماعه من كبار الصـحابه كسلمان و ابى ذر و المقداد و عمار و الزبير و خالـد بن سـعيد و حذيفه اليمان و بريده و غيرهم. و لم يبايع من بايع منهم بعد ذلك إلا قهرا و اضـطرارا حفظا لبيضـه الاسـلام و توحيـدا لكلمه المسـلمين. و لا يصـح بحال ان يـدعى ان هؤلاء ليسوا من اهل الحل و العقد، و هم من تعرف. و يقول الشـيعه ايضـا: لم يتكرر بعـد ذلـك تعيين الامام باختيار أهل الحل و العقـد، حتى نؤمن بحصول الاجماع على صـحه الاختيار فى تعيينه، لان كل خليفه تعين إنما تعين بنص السابق عليه أو بحد السـيف و القوه، ما عدا على بن ابى طالب عليه السـلام، و هو امام بالنص من النبى (صلى الله عليه و آله) و لا شأن لاختيار الامه فى امامته.

***

هكذا اختلف الطرفان، و أجدنى الآن حائرا إزاء أدله

الطرفين. و اذا اردت ان اعالج فی بحثی حادث السقیفه فانما اعالجه من عده نواح هذه أهمها، فهل استطیع ان استنتج الحکم الفاصل لاحدی الطائفتین ؟ هذا ما قد یکشفه مستقبل البحث، و کل آت قریب. و لا أتنبأ بالنتیجه قبل وقتها.

و کنت راغبا فی بحثی هنا أن احصل علی نتیجه حاسمه قبل الدخول فی تفسیر حوادث السقیفه، بل قبل الدخول فی البحث عن النص علی الامام بعد النبی فی هذا الفصل، و لکنی هنا وجدت هذه المسائل متداخله بعضها آخذ برقاب بعض.

و مع ذلک أجد بامکانی أن أضع تقریرا یقرب من التفکیر الصحیح مع الاعراض عما یقوله الطرفان فی هذا الشأن، مستعینا بما تقدم فی الابحاث السابقه، فهل تعیرنی تفکیرک لحظه.

لاحظ انک لا تشک و انا معک ان النبی ما فاه و لا ببنت شفه عن قاعده انعقاد الامامه باختیار أهل الحل و العقد، مع ان الواجب یدعو للبیان الصریح، کما قلنا آنفا، فلما ذا سکت عن ذلک ؟.

أ کان إهمالا و توریطا للمسلمین فی الخلاف و النزاع، او أنه لم یشرع مثل هذا التشریع ؟ و الثانی هو الاقرب للصحه. و علیه فما قیمه الاجماع إن تم مع علمنا بان هذا الامر لیس من الدین و لم یشرعه الله علی لسان نبیه، علی أنا وجدنا فی

ابحاثنا السالفه ان البرهان الصحيح يقودنا الى الاعتراف بفساد هذا التشريع، فنعلم بنتيجه ان النبى لم يشرعه لأمته، فلا بد ان نتهم الاجماع المدعى باحدى التهم المتقدمه.

هذا من جهه. و من جهه اخرى، انا لا أدرى أن هؤلاء الذين اقدموا على الاجتماع فى السقيفه لعقد البيعه بدون مشوره من جميع الموجودين فى المدينه و غيرهم على أى سناد استندوا و بأيه حجه اجتمعوا.

و المفروض ان لا حجه إلا الاجماع، و هو على فرضه بعد لم ينعقد على صحه عملهم ؟ فهذا العمل من أساسه كان بغير حجه قائمه و لا بينه واضحه، و لذا قال عمر لسعد بن عباده: (اقتلوه قتله الله إنه صاحب فتنه).

فلأى شىء استحق القتل و لم يكن يدعو إلا الى نفسه كما دعا غيره ؟ و لما ذا كان صاحب فتنه ؟ ليس إلا لأن دعوته من غير حجه قائمه. و إذا كان قد ثبت من النبى صحه انعقاد الخلافه باختيار أهل الحل و العقد، و يكتفى بمثل القوم الذين اجتمعوا فى السقيفه يومئذ فلم يكن قد دعا سعد إلا الى ما هو مشروع لا يستحق عليه قتلا و لا غضباً.

أما النص المروى: (الأئمه من قريش) فلم يكن معروفاً عند المهاجرين يومئذ او أنهم لم يريدوا ان يعرفوه، و لذا لم يستدلوا له ذلك اليوم، بناء على ما هو الصحيح و إنما

استدل الخليفه أبو بكر بالقرابه من الرسول و ان العرب لا تعرف هذا الأمر إلا بهذا الحى من قريش.

۷ النص على أبى بكر

لم نتوقف فيما مضى للاعتقاد بأن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أو كل نصب الامام الى اختيار الامه، أو أهل الحل و العقد منهم خاصه... و هنا نبحث عما إذا كان قد عين شخص الامام بعده، فمن هو هذا الامام ؟

ا صحيح انه هو (أبو بكر)؟ يقطع الباحث ان الأحاديث المرويه فى النص عليه موضوعه إذا كان يفهم منها النص المدعى. و ليس أدل على ذلك مما ثبت من تصريحاته نفسه، و لا سيما عند ما تمنى قبيل موته ان يسأل عن أشياء ثلاثه ترك السؤال عنها، أحدها أمر الخلافه انه فيمن حتى لا ننازع أهله. ثمّ من تصريحات خليفته عمر بن الخطاب لا سيما عند ما دنت منه الوفاه فصرح ان النبى لم يستخلف. ثمّ من تصريحات عائشه (و هى المدافعه و المنفحه عن أبيها و قد قامت بقسط وافر من تأييده و تثبيت خلافته) فنفت الاستخلاف لما سئلت من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف.(۱)

۱- (۱) و من الغريب اعتذار ابن حزم: (ان هذا الأثر خفى على عمر كما خفى عليه كثير من أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) كالاستيذان و غيره، أو أنه أراد استخلافا بعهد مكتوب، و نحن نقر ان استخلافه لم يكن بعهد مكتوب. و أما الخبر فى ذلك عن عائشه فكذلك ايضاً...). و لئن خفى هذا الأمر على عمر و عائشه فعلى غيرهما اخفى و اخفى، على ان جمله ارادتها للعهد المكتوب فابعد و ابعد.

و يكفينا لعدم الوثوق بهذا النص المدعى أن نطلع على مجرى حادث السقيفه، و نعرف استدلال من استدل على صحه بيعته بالاجماع. أولا تراه نفسه يوم السقيفه كيف قدم للبيعه عمر و أبا عبيده، فقال: (قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين). أ تراه كان لا يعلم بالنص عليه، أو كان عالماً به و لكنه أعرض عنه ؟ لا شيء منهما يصح أن يقال.

و لا شيء أوضح من خطبته يومئذ إذ يقول فيها: (ان العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش أوسط العرب داراً و نسباً).

بل لو كان نص عليه لما كانت العرب تعرف هذا الأمر إلا لشخصه بنص صاحب الرساله. و ليس المقام مقام حياء من الدعوه الى نفسه.

و عندى لا شيء أوضح من وضع الأحاديث فى النص

علیه. و أجد ان الذی ألجأ الی وضعها ان من وضعوها بعد ان ضاقوا ذرعاً بالاستدلال علی خلافته بالاجماع، مما وجدوه من مخالفه من خالف ممن لا یمکن اهمال شأنهم. و هذا هو التعصب الذی یحمل صاحبه علی الکذب و الاختراع، فیقف حجر عثره دون وصول طالب الحقیقه الی هدفه، و یجعل النفس لا تثق بکل ما یرویه هذا المتعصب فیما یخص معتقده، بل فی کل شیء.

***

أما قضیه تقدیمه للصلاه فان صحت (و هی صحیحه بمعنی انه صلی بالمسلمین)، فلیس فیها ایه اشاره الی تعیینه للخلافه، فضلا عن النص، لأن الامامه فی الصلاه لیست بالأمر الخطیر الشأن الذی لا یکون إلا لمن له الامامه، و لا سیما علی مذهب اهل السنه، و کان ائتمام المسلمین بعضهم ببعض مما اعتادوا علیه، و شاع یومئذ بینهم بترغیب النبی فیه، فقد ورد(۱) ان ابا بکر صلی بالناس من دون إذن النبی (صلی الله علیه و آله) لما ذهب الی بنی عمرو بن عوف لیصلح بینهم.

و لا اعتقد بصحه ما یروی ان النبی هو الذی قدمه للصلاه و انه صلی أیاما، لأن ابا بکر کان من جیش اسامه من غیر شک و سیأتی و قد نهی النبی عن التخلف عنه،

۱- (۱) راجع صحیح البخاری ۱:۸.

و شدد فی الاسراع بانفاذه، فکیف یجتمع هذا مع تقدیم النبی له للصلاه مده مرضه ؟

نعم الثابت انه صلی صلاه واحده و هی صلاه الغدیر یوم الاثنین یوم وفاه النبی (صلی الله علیه و آله)، و قبل ان یتمها خرج صاحب الرساله یتهادی بین رجلین و رجلاه تخطان الأرض من الوجع فصلی بالناس صلاتهم و تأخر ابو بکر. فان عائشه هی التی روت امر النبی بتقدیمه لا غیرها، و انها راجعته فی ذلک حتی قال لها غاضبا: (انکن لأنتن صواحب یوسف) و هی نفسها تروی خروجه فی نفس تلک الصلاه(۱). و کان خروجه بهذه الحال الی الصلاه یوم وفاته و هو یوم الاثنین.

و لو ان النبی کان قدمه للصلاه اشاره الی خلافته، فلما ذا خرج بهذه الحال المؤلمه، و صلی بالناس صلاه المضطرین جالسا؟

و لا معنی ما یقال: (انه صلی ابو بکر بصلاه النبی و صلی الناس بصلاه ابی بکر) فمن هو الامام اذن ؟ ان کان أبا بکر فلم یکن قد صلی بصلاه النبی، و ان کان النبی فلم تکن الناس قد صلت بصلاه أبی بکر، و تأویله ان صح ان النبی جالسا فلا یرون شخصه و کان مریضا فلا یسمعون

۱- (۱) صحیح البخاری (۱:۷۸ و ۸۴ فی حدیثین). و صحیح مسلم فی باب استخلاف الامام اذا عرض له من کتاب الصلاه.

صوته، فكانت الناس تعرف ركوعه و سجوده بصلاه أبی بكر الذی كان بازائه لما تأخر عن مقامه.

و الأحاديث مضطربه فی هذا الباب، مع أن أكثرها عن عائشه ام المؤمنين و اختلافها الجوهری فی سته امور:

۱ (فی علاقه عمر بالصلاه) فيذكر بعضها ان النبی قال: (مروا عمر) بعد مراجعه عائشه عن أبيها فأبی عمر و تقدم أبو بكر و بعضها ذكر انه ابتداء أمر عمر، فقال عمر لبلال قل له ان أبا بكر علی الباب. و حينئذ أمر أبا بكر. و بعضهم ذكر انه اول من صلی عمر بغير اذن النبی فلما سمع صوته قال: (يأبی الله ذلك و المؤمنون) و فی بعضها انه أمر أبا بكر ان يصلی نفس الصلاه التی صلاها عمر بالناس، و فی بعضها صلی عمر و كان ابو بكر غائبا. و فی بعضها ان النبی أمر أبا بكر و أبو بكر قال لعمر صل بالناس فامتنع.

۲ (فی من أمره النبی ليأمر ابا بكر)، فبعضها تذكر عائشه، و بعضها بلالا، و بعضها عبد الله بن زمعه.

۳ (فيمن راجعه فی أمر أبی بكر)، فبعضها تذكر عائشه وحدها راجعته ثلاث مرات أو أكثر، و بعضها تذكر عائشه راجعته ثمّ خالت لحفصه فراجعته مره أو مرتين، فلما زجرها النبی قالت لعائشه: (ما كنت لأصيب منك خيراً).

۴ (فی الصلاه المأمور بها)، فبعضها یخصها بصلاه العصر و بعضها بصلاه العشاء، و الثالث بصلاه الصبح.

۵ (فی خروج النبی)، فبعضها تذکر انه خرج و صلی، و اخری تقول أخرج رأسه من الستار و الناس خلف ابی بکر ثمّ القی الستار و لم یصل معهم.

۶ (و فی کیفیه صلاه النبی بعد الخروج)، فیذکر بعضها انه ائتم بأبی بکر بعد أن دفع فی ظهره و منعه من التأخر.

و بعضها ان أبا بکر تأخر و ائتم بالنبی. و بعضها ان ابا بکر صلی بصلاه النبی و الناس بصلاه ابی بکر. و بعضها ان النبی ابتدأ بالقراءه من حیث انتهی ابو بکر.

۷ (فی جلوس النبی الی جنب ابی بکر) فبعضها تذکر جلوسه الی یساره، و بعضها الی یمینه.

۸ (فی مده صلاه ابی بکر)، فبعضها تجعلها طیله مرض النبی، و اخری تخصها بسبع عشر صلاه، و ثالثه بثلاثه أیام، و رابعه بسته، و یظهر من بعضها انه صلی صلاه واحده.

۹ (فی وقت خروج النبی الی الصلاه)، فبعضها صریحه فی انه خرج لنفس الصلاه التی امر بها ابا بکر، و بعضها صریحه فی انه خرج لصلاه الظهر بعد صلاه ابی بکر اماما، و بعضها صریحه فی خروجه لصلاه الصبح.

و هذه الاختلافات كما رأيت فى جوهر الحادثه. و لم يظهر من الأخبار تعدد امر النبى له بالصلاه و لا تعدد خروجه.

و هذا كله يذهب بالاطمئنان بتصديقها فى خصوصيات الحادثه لا سيما فيما يتعلق بأمر النبى له، نعم يعلم منها شيء واحد على الاجمال هو صلاه ابى بكر بالناس قبل خروج النبى.

و لعل أبا بكر كان مخدوعا فى تبليغه أمر النبى، كما جاء فى الحديث ان عبد الله بن زمعه خدع عمر بن الخطاب فبلغه أمر النبى له بالصلاه.

و احسب ان اصل الواقعه ان النبى (صلى الله عليه و آله) أمر الناس بالصلاه لما تعذر عليه الخروج من دون ان يخص احداً بالتقديم، فتصرف متصرف، و تأول متأول. و لما بلغ ذلك اسماع النبى التجأ ان يخرج يتهادى بين رجلين و رجلاه تخطان الأرض من الوجع، فصلى بالناس جالسا صلاه المضطرين، ليكشف للناس هذا التصرف الذى استبد به عليه.

و استغرب توبيخه لعائشه لما راجعته عن أبيها إذ قال لها: (انكن لأنتن صواحب يوسف). لما ذا هذا التوبيخ القارص ؟ و أى شيء صنعته تستحق به هذا اللوم ؟ ألا- أنها ضنت على أبيها بهذه الكرامه، فلئن لم تستحق المدح فعلى الأقل لا تستحق مثل هذا التوبيخ.

و من هنا يتطرق الشك ايضا فى صحه تقديم النبى لأبى

بکر، و یبدو أنه کان من أمرها و تدبیرها، فلذا وجهت الیها هذه الکلمه اللاذعه، لا لمراجعه هناک. و لا شک انها ترغب لأبیها کل فضیله و تلزه لزّاً. و لذا التجأت ان تعتذر عن مراجعتها المستغربه منها التی ادعتها بانها انما کانت تحب ان یصرف عن أبیها لأنها رأت ان الناس لا یحبون رجلا قام مقام النبی ابداً و انهم سیتشأمون به فی کل حدث کان.

أ لا تراها کیف بعثت الی ابیها تدعوه لما بعث النبی الی علی یدعوه لیوصیه، و کذلک صنعت حفصه لأبیها، و لکن النبی لما رآهم قد اجتمعوا أمرهم بالانصراف و قال: (فإن تک لی حاجه ابعث الیکم)(۱) و هذا قول من عنده ضجر و غضب باطن.

و النتیجه: انه لیس هناک ما یستحق ان یسمی نصا، و لا اشاره الی خلافه ابی بکر.

---

۸ النص علی علی بن أبی طالب

اذن، أ فصحیح ما تقوله الشیعه من النص علی علی علیه السلام ؟ ایها القارئ! بودی ان یکون حیادیا، فلا تنظر الی ما تقوله الشیعه عن هذا الرجل إلا بتقزز، حتی لا اکلفک

۱- (۱) الطبری (۳:۱۹۵).

بالرجوع الى كتبهم و اخبارهم. و انا معك الآن سأطرحها جانبا. و ما يدرينا لعل حبهم و تعصبهم لصاحبهم يسوقانهم الى القول عنه بما لم يكن، كما ساق أهل السنه الى روايه النص على أبى بكر. فلنأخذ حذرنا من الآن.

و بعد هذا أ ترانا نحذر من مؤلفات اهل السنه و صحاحهم فى حق على، و هم ان تعصبوا فعليه، لا له ؟ كلا؟ فان الكثير من محدثيهم يحذرون كل الحذر من رواه مدحه و فضائله، فيقدح المؤلف منهم فى الراوى الذى تشم منه رائحه الميل اليه، و يرسلون الطعن فى الحديث ارسالا- فيقولون: (و فى متنه غرابه شديده)، و ليس إلا- لأنه لا- يتفق و عقيدته و يكفى فى الثقه بالمحدث ان يكون ممن يميل عنه كأبى هريره و المغيره بن شعبه و عمران بن حطان و امثالهم.

و قبل ذلك نجد سيوف بنى أميه مسلوله على رءوس الرواه لئلا ينسبوا فضيله لهذا الذى ناصبوه العداء و سنّوا سبّه على المنابر و المعابر. و نجدهم كيف كانوا يغدقون بالاعطيات على الطاعنين فيه و المنحرفين عنه.

و لذا ترانى اطمئن كل الاطمئنان و انت معى لا شك الى كل حديث خلص من هذه العقبات، و استطاع ان يطلع رأسه من بين الأحاديث ظافرا بالصحه و التأييد، فسجلته كتب اهل السنه و صحاحهم فى فضل على و النص على خلافته، و مع هذا فستجدنى لا اعتمد إلا على بعض

الصحيح الثابت عند اهل الحديث منهم الذى بلغ حد التواتر أو كالمتواتر.

و الحق ان لعلى منزله كبرى عند اخيه و ابن عمه، يغبطه عليهما كل مسلم بل حسدوه عليها، و لا ينكرها إلا مكابر، حتى ان ام المؤمنين عائشه (على ما بينها و بين على ما هو معروف) قالت فيه: (ما رأيت رجلا احب الى رسول الله منه و لا رأيت امرأه كانت احب اليه من امرأته).

و قد كان صلى الله عليه و آله و سلم يمجد و يرحب بصهره عند كل مناسبه من يوم ولد صهره قبل البعثه بعشر سنين الى يوم فاضت نفسه الزكيه فى حجره. و هذا مما لا يشك فيه مسلم، و إنما الشأن فيما يدل على العهد اليه بالخلافه فلنقرأ بعض الأحاديث الصحيحه المتواتره او المشهوره، و لننظر ما ذا سنفهم منها:

١ لما نزلت الآيه الكريمه (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع النبى (صلى الله عليه و آله) من اهل بيته اربعين رجلا فى قصه معروفه و كان ذلك فى مبدأ البعثه فعرض عليهم الاسلام و ضمن لمن يؤازره و ينصره منهم الاخوه له و الوراثه و الوزاره و الوصايه و الخلافه من بعده فأمسكوا كلهم الا عليا، فقد اجابه وحده، فأخذ برقبته، و قال:

(ان هذا اخى و وصيى و خليفتى فيكم او من بعدى على اختلاف الروايات فاسمعوا له و اطيعوا). فقام القوم يضحك بعضهم الى بعض استهزاء)،

و يقولون لأبى طالب قد امرك ان تسمع و تطيع لهذا الغلام. يعنون ابنه(۱).

۲ و فى غزوه الخندق لما برز على الى عمرو بن عبد ود قال (صلى الله عليه و آله) فيه: برز الايمان كله الى الشرك كله). و ذلك سنه ۵ ه.

۳ و فى غزوه خيبر باهى به الذين تراجعوا بالرايه فقال: (أنى دافع الرايه غدا الى رجل يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كرار غير فرار) فتطاولوا لها، و لكنه دفعها الى على، و ذلك سنه ۷ ه.

۴ و لما آخى بين المهاجرين قبل الهجره و بين المهاجرين و الأنصار بعدها بخمسه اشهر، اصطفى عليا لنفسه فآخاه، و قال له: (انت منى بمنزله هارون من موسى غير انه لا نبى بعدى). ثمّ لم يزل يكرر هذه الكلمه فى مناسبات كثيره، منها لما سد الابواب الشارعه الى المسجد إلا باب على، و منها غزوه تبوك لما خلفه على المدينه سنه ۹ ه. و فى روايه ابن عباس زياده (انه لا ينبغى ان اذهب إلا و انت خليفتى)(۲).

۱- (۱) من الغريب ما صنعه الاستاذ محمد حسين هيكل. اذ يذكر هذه الحادثه فى كتابه (حياه محمد) فى الطبعه الاولى و يهملها فى الطبعات الاخرى من غير تنبيه.

۲- (۲) و صححها الحاكم فى المستدرك و الذهبى فى تلخيصه.

۵ و قال له: (لا یحبک إلا مؤمن و لا یبغضک إلا منافق). و بعد ذلک کان یعرف المنافق ببغضه لعلی.

۶ و قال: (ان منکم من یقاتل علی تأویل القرآن کما قاتلت علی تنزیله). و بعد ان نفی ذلک عن ابی بکر و عمر قال: (و لکنه خاصف النعل) و کان علی یخصف نعل رسول الله ساعتئذ فی الحجره عند فاطمه.

۷ و کان عند النبی طایر طبخ له، فقال: (اللهم آتنی بأحب الناس الیک یأکل معی) فجاء علی فأکل معه.

۸ و قال: (أنا مدینه العلم و علی بابها).

۹ و قال: (أقضاکم علی).

۱۰ و قال: (علی مع الحق و الحق مع علی، لن یفترقا حتی یردا علی الحوض).

۱۱ و أثبت له غیر مره الوراثه و الوصایه، و أوضح انهما وراثه و وصایه نبوه، فقال مره: (لکل نبی وصی و وارث و إن وصیی و وارثی علی بن ابی طالب)(۱). و قال له علی مره:

۱- (۱) راجع میزان الاعتدال فی ترجمه شریک. و قال عن راویه محمد بن حمید الرازی لیس بثقه مع أنه قد وثقه احمد بن حنبل و ابو القاسم البغوی و الطبری و ابن معین و غیرهم. و نقل هذا الحدیث عن السیوطی فی اللآلئ و عن الحاکم.

(ما أرث منک). قال صلی الله علیه و آله و سلم: (ما ورث الأنبیاء من قبل کتاب ربهم و سنه نبیهم)(۱).

۱۲ و قال سنه ۸ ه: (إن علیا منی و أنا من علی لا یؤدی عنی إلا أنا و علی).

۱۳ و قال: (إن علیا منی و أنا من علی، و هو ولی کل مؤمن بعدی).

۱۴ و قال: (انت ولی کل مؤمن بعدی).

۱۵ وسد ابواب المسجد غیر باب علی، فکان یدخل المسجد جنبا، و هو طریقه لیس طریق غیره. قال عمر بن الخطاب: (لقد اعطی علی بن ابی طالب ثلاثا لئن تکن لی واحده منها أحب الی من حمر النعم: زوجته فاطمه بنت رسول الله، و سکناه المسجد مع رسول الله یحل له ما یحل فیه، و الرایه یوم خیبر). و کذلک روی عن ابن عمر. و لما روجع النبی فی فتح باب علی قال: (إنما أنا عبد مأمور ما امرت به فعلت إن اتبع إلا ما یوحی إلی).

۱۶ و لما آخی النبی بین کل اثنین من المهاجرین، و ذلک قبل الهجره اصطفاه لنفسه فآخاه و قال له فیما قال: (أنت أخی و وارثی. أنت منی بمنزله هارون من موسی إلا انه لا نبی بعدی). و کذلک صنع و قال لما آخی بین المهاجرین و الانصار،

۱- (۱) راجع کنز العمال (۴۱:۵).

فاصطفاه لنفسه مع ان كلا منهما من المهاجرين و ذلك بعد الهجره بخمسه اشهر. و لا يزال يدعوه أخى فى مناسبات لا تحصى.

۱۷ و يوم الغدير، بعد الرجوع من حجه الوداع سنه ۱۰ ه أمر بالصلاه، فصلاها بهجير، و قام خطيبا على مائه الف أو يزيدون، حيث تفترق قبائل العرب. و بعد أن نعى نفسه اليهم ذكر الثقلين كتاب الله و عترته و انهما لن يفترقا و لن يضلوا بالتمسك بهما أبدا، أخذ بيد على و قال:

أيها الناس أ لست أولى منكم بأنفسكم ؟

قالوا: بلى يا رسول الله! و كرر السؤال عليهم و اجابوا.

ثمّ قال: فمن كنت مولاه فعلى مولاه (و فى أحاديث كثيره: من كنت مولاه فعلى وليه). اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و انصر من نصره و اخذل من خذله، و أدر الحق معه حيثما دار (فلقيه عمر بن الخطاب فقال له: هنيئا يا بن أبى طالب أصبحت و أمسيت مولى كل مؤمن و مؤمنه)(۱) أو (أصبحت مولاى و مولى كل مؤمن و مؤمنه)(۲).

۱- (۱) مسند أحمد (۴:۲۸۱) و عن تفسير الثعلبى. و فى الصواعق المحرقه فى الشبهه ۱۱ عن ابى بكر و عمر معا.

۲- (۲) تفسير الرازى فى قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك.)

هذه هی الاحادیث التی أخذناها من الصحیحه، اکتفاء بهذا القلیل عن کثیر لا تسعه هذه الرساله. أما الآیات فقد قال ابن عباس: (نزلت فی علی ثلاثمائه آیه من کتاب الله تعالی). و لم یعرف من طریق اهل السنه إلا مائه، و نختار منها ثلاث آیات:

۱ آیه (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ). و قد نزلت فیه إذ تصدق بخاتمه و هو راکع فی الصلاه، فاثبت الولایه له کولایه الله و رسوله علی الناس. و هی مثل الأحادیث التی جعلت له تلک الولایه الالهیه.

۲ آیه التطهیر، إذ جمع النبی (صلی الله علیه و آله) علیا و زوجه و ابنیهما معه فی کساء واحد، فنزلت الآیه باذهاب الرجس عنهم و تطهیرهم، و هذه العصمه التی تشترط فی الامامه.

۳ آیه المباهله، إذ باهل بأهل بیته اولئکم، نصاری نجران فی قصه مشهوره، و جعل علی بنص الآیه نفسه.

و نحن لما اعتقدنا ان طریقه الاختیار لا یصح ان یقال ان النبی عول علیها فی تعیین الخلیفه من بعده، فمن الضروری ان ینص علی واحد من اصحابه، و لکن لم یکن أبا بکر فمن هو إذن ؟

لیس هناک شخص ورد فیه ما ورد فی علی یصح ان

یکون نصا کهذه الأحادیث مع الآیات التی یؤید بعضها بعضا و یفسر بعضها بعضا: فقد نصت علی انه وارث النبی وراثه نبوه، و وصیه، و أخوه، و نفسه، و ولی المؤمنین بعده، و اولی بهم من انفسهم، و منزلته منه منزله هارون من موسی عدا منزله النبوه، و خلیفته من بعده، و یدور معه الحق کیفما دار لن یفترقا، و هو أقصی الأمه، و باب مدینه علمه، المطهر من الرجس.

و هذه صفات لا تکون إلا لامام معصوم و خلیفه للنبی یختاره الله و رسوله للأمه. و هل یمکن أن یکون شخص أولی بالمؤمنین من أنفسهم و ولیهم بعد النبی و هو سوقه کسائر الناس تجب علیه طاعه غیره و السمع له ؟ هیهات!

و لکن کل واحده من هذه الکلمات التمس لها بعض الباحثین فی الامامه تأویلا احتفاظا بکرامه الصحابه و اتقاء من نسبه مخالفه نص النبی الیهم. و نحن نقول لهؤلاء المؤولین إذا کنتم قد عرفتم حسن نوایا هؤلاء الصحابه، و هم فی الوقت نفسه مجتهدون علی رایکم فلا استغراب فی مخالفه الصریح من کلام النبی (صلی الله علیه و آله) و لیس الخطا علی المجتهدین بعزیز. ثمّ انا عرفنا عنهم عدم تعبدهم بالنصوص فی کثیر من الامور التی تفوت الحصر، کتوقفهم فی بعث جیش اسامه و تأمیره حتی أغضبوا النبی فقال ما قال و بالأخیر امتنعوا عن الخروج حتی قبض، و کاعتراض عمر علی صلح

الحدیبیه، و کمنعه من املاء الکتاب الذی قال عنه النبی لن تضلوا بعده ابدا. و ما الی ذلک.

فنحن الآن بین أمرین إما أن نؤول هذه الأحادیث بما یصح و بما لا یصح و أما ان نقول إن اولئک الصحابه قد تأولها لأمر ما. و لا شک ان الثانی أقرب الی البحث العلمی و التفکیر الحر المستقیم، لأنا وجدناهم قد تأولوا فی حیاه النبی النصوص الصریحه التی لا تقبل التأویل کما سمعت بعضها. و هل لمن یحسن الظن بهم إلا ان یعتقد انهم لم یقصدوا مخالفه النبی عصیانا، و انما کانوا یظنون المصلحه فیما ینقدح لهم من رأی، و قد اعتادوا أن یشاورهم فی الامور اتباعا لأمر الله تعالی (وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ) فانسوا التدخل حتی فی الشئون العامه التی یأمر بها النبی و یعقدها.

و من جهه ثانیه نری امتناع دخول التأویلات التی تسمعها من الباحثین علی بعض هذه الأحادیث، منها (حدیث الغدیر) و هو آخر النصوص و آیه (إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ ...) و حدیث (ولی کل مؤمن بعدی). فقد اولوا المولی و الولی فی کل ذلک بالناصر أو المحب.

و هذا بعید کل البعد فی حدیث الغدیر، لأن أهل اللغه ان فسرت المولی و الولی بالناصر و المحب فقد فسروها بمالک التصرف. و هل تفهم معانی الألفاظ المشترکه إلا بقرائنها؟ و القرینه الحالیه و اللفظیه صریحه فی هذا المعنی الأخیر:

فان النبی قام خطیبا علی مائه الف او یزیدون بحرّ الهجیر، و هل یصح عند العقل ان یقف هذا الموقف الخطیر و هو یرید أن یفهم الناس أن علیا ناصر للمؤمنین أو محب لهم ؟ و أیه حکمه فی بیان هذا الامر الواضح فتسترعی هذا الاهتمام من النبی الحکیم.

و ایضا و بعد ان ینعی نفسه و یذکر الثقلین یأخذ بید علی و یرفعه الیه حتی یبین بیاض ابطیهما. و یستنشدهم: (أ لست اولی منکم بأنفسکم). فما هذه التوطئه ؟ أ کانت کلاما مطروحا لا فائده فیه ام انها لتوضیح ما سیفرغ علیها فقال:

(فمن کنت مولاه فعلی مولاه)؟

لا شک انها قرینه لفظیه صریحه فی بیان ان علیا مثله اولی من المؤمنین بأنفسهم. و المولی کما قلنا هو (مالک التصرف) أو (الاولی بالشیء منه)، کما تقول: السید مولی العبد، أی مالک لتصرفه، او انه اولی بالتصرف فی شئونه منه.

و لا حاجه الی دعوی ان المولی بمعنی کلمه (الأولی) فقط، حتی یعترض علیها المعترض فیقول: لا یصح أن یقال (مولی منه) کما تقول (اولی منه). بل ان معنی کلمه (المولی) معنی مجموع هذه العباره (الاولی بالشیء منه) الذی یساوق معنی مالک التصرف.

و منها و هو اول النصوص الحدیث: (ان هذا أخی

و وصی و خلیفتی فیکم أو من بعدی فاسمعوا له و اطیعوا). و هو حدیث ثابت لا شک فیه، فهل تجد عباره هی أصرح من هذه العباره للنص علی الخلیفه و الامام ؟

و لو قرأنا نص ابی بکر علی خلیفته لم نر إلا عباره (إنی أمرت علیکم عمر بن الخطاب). و هذه لا تشبه تلک فی صراحتها و لا تقاس علیها فی قیاس، فأین صراحه الاماره من صراحه الخلافه ؟ و الاماره تکون فی الجیش و تکون فی کل شیء، و الخلافه لفظ کان یجری علی لسان النبی و المسلمین و لا یراد منه إلا هذا المعنی فعند ما تسمع قوله صلی الله علیه و آله و سلم: (هذا الأمر لا ینقضی حتی یمضی فیهم اثنی عشر خلیفه کلهم من قریش) لا نشک فی المراد بکلمه (خلیفه) کما لا نشک فی کلمه قریش. فلما ذا لا نفهم من کلمه (خلیفتی) هذا المعنی ؟ و هل استعملها فی یوم من الایام فی معنی آخر؟

و الفرق بین نص النبی و نص ابی بکر ان ابا بکر لم یحدث بعده ما یأخذ بالاعناق الی التأویل و التشکیک، لأنه قد عمل به و انتهی کل شیء. اما نص النبی فقد بقی قولا فی صدور الرجال و صحائف الکتب و لم یعمل به، فسلبت صراحته و أدخل علیه التأویل احتیاطا فی حمل الصحابه علی أحسن الأعمال. و لئن درئ الطعن عنهم فلا یجلون عن الخطأ، و ما هو بعزیز علی مثلهم.

على انا لا نريـد ان ندخل فى البحث عما يجب أن يقال فى عذر الأصـحاب، و انما الغرض أن نفهم مدى دلاله هذا الحديث فى نفسه قاطعين النظر عن كل ما صدر عن الاصـحاب، فلا نجد كلمه هى أوضح و أصـرح من كلمه (وصيى) و كلمه (خليفتى)، ثمّ تعقيبهما بالأمر بالسمع و الطاعه.

و ينسق عليه حديث رقم (١١): (لكل نبى وصـى و وارث و ان وصـيى و وارثى على بن أبى طالب). و يعلم من هذا بصراحه انها وصـايه نبوه لا- وصـايه اعتيـاديه، و وراثه نبوه على نسق الوصـايه لا- وراثه مـال أو عقـار، فان عليا ابن عمه و ابن العم لا يرث مع البنت، و لا معنى لوراثه النبى لأنه نبى غير ان يكون بمنزلته فى الولايه العامه و وجوب السـمع و الطاعه، أما العلم فكل المسـلمين ورثـوه منه فلا- اختصـاص لعلى إلا- أن يراد من العلم معنى آخر لا- يشـترك فيه النـاس، و هو الـذى يكون من مختصـات النبوه، فيكون على المقصود أدل و أدل.

أمـا باقى الأحاديث فلو لم يكن كل واحـد منها نصا على امامته، فعلى الاقل انها بمجموعها مع ما تقـدم من النصوص تكون نصـا على امامته، فعلى الأقل انها بمجموعها مع ما تقـدم من النصوص تكون نصا لا يقبل الاحتمال و التأويل، لا سـيما بعد أن بينا فساد القول بتشريع ايكال الأمر الى اختيار الأمه

و قلنا انه لا بد ان يكون واحد من الأصحاب قد نص على خلافته النبى (صلى الله عليه و آله).

لا تزال هناك شبهه مستعصيه على الباحثين، و لا يزال يكررها الكتاب حتى يومنا هذا. و هى: ان هذه الأحاديث لو كانت للنص على خلافته، كما تقوله الشيعه، فلما ذا لم يتمسك بها هو، و يحتج بها على القوم لو كانوا قد اخذوا حقه ؟ و لما ذا لم يحتج بها اصحابه أو باقى المسلمين فى اجتماع السقيفه ؟

و الحق انها شبهه قويه هى أقوى متمسك لإنكار النص، بل ليس شىء غيرها يستحق ان يذكر فى معارضه تلك النصوص، فيلجئ الى تأويلها و تفسيرها على غير وجهها. و الباحثون اجابوا عنها بعده امور يطول علينا استقصاؤها، و لكن الذى يرضى نفسى و ادين به ربى ان اقرر ما يلى:

ان مولانا امير المؤمنين لما انتهى الأمر بالناس الى مبايعه ابى بكر خليفه، فهو قد أمسى بين أمرين لا ثالث لهما: اما ان يستسلم للأمر الواقع، فيترك كل مطالبه علنيه صريحه ابقاء لكلمه الاسلام. و أما ان يجاهد حتى يثبت حقه، و هو نفسه قال: (و طفقت ارتئى بين ان اصول بيد جذاء أو أصبر على طخيه عمياء). و لما اختار الأمر الاول و هو أعرف بما اختار إذ يقول: (فرأيت ان الصبر على هاتا احجى) فلم يبق وجه لمطلبته العلنيه بالخلافه، و قد طوى عنها كشحا

و أسدل دونها ثوبا. و لو انه كان يعلن بالمطلبه فلا بد ان يتبعها بالسعى الى تنفيذها مهما أوتى من حول و قوه، و فى ذلك تطويح بكلمه الاسلام و بنائه السامق و سيأتى تمام البحث فى الفصل الرابع. اما اصحابه فله تبع، و فى السقيفه قال الانصار كلهم أو بعضهم: (لا نبايع إلا عليا) و لكنها كلمه ذهبت فى فضاء التأريخ منسيه و قد عالجناها فى غير موضع من هذا الكتاب كما يأتى.

ص:٧٣

الفصل الثانی: تدبیر النبی لمَنع الخِلاَف..

اشاره

ص:۷۵

(أ بعث اسامه)

۱

مرض النبی صلی الله علیه و آله و سلم مرضه الذی انتقل به الی الرفیق الأعلی، فوجس منه خیفه الفراق، و هو یعلم ان امته علی شفا جرف هار من بحر للفتن متلاطم، و العرب مغلوبه علی أمرها تحرق الارم علیه و علی قومه و اهل بیته، و تنتهز الفرصه للوثوب لأخذ ثأرها و هو علی حذر منهم، و المنافقون بالمرصاد بین ظهرانی المسلمین یقولون بألسنتهم ما لیس فی قلوبهم و یعدون من اصحابه و هو علی المسلمین منهم احذر، و لیس عهد دحرجه الدباب فی العقبه ببعید. و اکثر من ذلک هذه الأخبار ترد بخروج الأسود العنسی و مسیلمه یدعیان النبوه فتتکاثر أتباعهما.

ما أشد حال النبی و حزنه، و هو یستدبر امه هذه حالها و هی تستقبل الفتن کقطیع اللیل المظلم کما فی الحدیث. و قد رأی مواقع الفتن خلال بیوت المدینه کمواقع القطر فی حدیث آخر(۱).

و لکنه فی هذا الموقف الدقیق مع ذلک یرمی بجیشه

۱- (۱) صحیح مسلم ۱۶۸:۸ باب نزول الفتن.

اللجب الی مکان سحیق، إذ یعقد اللواء بیده للشاب اسامه بن زید أمیرا علی الجیش بعد یوم واحد من ابتداء شکاته، بعد ان کان امرهم بالبعث قبل ابتداء مرضه. ثمّ یضم تحت لوائه شیوخ المهاجرین و الانصار و جلتهم و وجوههم منهم ابو بکر(۱) و عمر بن الخطاب و عبد الرحمن بن عوف و ابو عبیده و سعد بن ابی وقاص و اسید بن حضیر و بشر بن سعد و غیرهم، لیحارب بهم اهل أبی بناحیه البلقاء من ارض الشام اولئک قتله ابی اسامه زید من الروم.

ثمّ یشدد فی الخروج و یلعن المتخلف منهم و یغضب ذلک الغضب لتباطؤ القوم و لغطهم حول تأمیر فتی یافع علی

۱- (۱) صرح بدخول ابی بکر فی البعث اکثر المؤرخین، منهم ابن سعد فی طبقاته (۴۶:۴) و (۱۳۶:۴) و ابن عساکر فی التهذیب (۳۹۱:۲) و (۲۱۵:۳) و صاحب کنز العمال (۳۱۲:۵). و صاحب تاریخ الخمیس (۱۷۲:۲) و الیعقوبی فی تاریخه (۹۳:۲) و ابن ابی الحدید (۲۱:۲) و محمد حسین هیکل من المتأخرین فی حیاه محمد (۴۶۷) و غیرهم مما لا یحصی. و لم نجد تصریحا و لا تلویحا لأحد من المؤرخین بخروجه من جیش اسامه. و انما یکتفی بعضهم بقول (وجوه المهاجرین) و ما یؤذی هذا المعنی بدون تصریح باسم أحد، و لکن بعض المؤلفین الجدلیین حاول انکار دخوله من غیر حجه ظاهره.

شیوخ المسلمین، فیقول: (ان تطعنوا فی إمارته فقد کنتم تطعنون فی إماره ابیه من قبل و ایم الله ان کان لخلیقاً للاماره و ان ابنه من بعده لخلیق للاماره).

۲

لشد ما یعتلج العجب فی نفوس المتفکرین من هذا الحادث، فیعجب الانسان.

(اولا) ان تسند قیاده اعظم جیش اسلامی یومئذ، فی ذلک الظرف الدقیق الذی وصفناه، فی مرض النبی، الی شاب یافع لم یتجاوز العشرین من سنیه (علی جمیع التقادیر)، و هو لم یجرب الحروب بعد و بالأصح لم تسند الیه قیاده من هذا النوع و لا من نوع آخر. و الجیش معبإ لجهاد اقوی اعداء الاسلام فی ذلک الموقع البعید عن العاصمه الاسلامیه.

(ثانیا) أن یؤمر هذا الفتی، مع ذلک، علی شیوخ المسلمین الذین فیهم قواد الحروب و رؤساء القبائل و اصحاب النبی الذین یرون لأنفسهم مقاما اسمی و منزله رفیعه. و یرشحون انفسهم لمنصب هو أعظم کثیرا من منصب قائدهم الصغیر هذا.

(ثالثا) ان یتباطأ المسلمون عن الالتحاق بهذا البعث بالرغم علی اصرار النبی و تشدیده النکیر علی المتخلفین و لعنه

اياهم. و يكفى ان نعرف ان البعث وقع قبيل شكاته أو فى أولها و قد استدامت علته اربعه عشر يوما (على اوسط التقادير). و فى كل هذه المده الطويله يثاقل القوم عن الخروج. و قد عسكر قائدهم الفتى بالجرف، و هو عن المدينه بفرسخ واحد (بعد ان عقد النبى له الرايه بيده الشريفه) ينتظر جيشه المتمرد ان يجتمع اليه، فتخلق الاشاعات عن حال النبى فيرجع اسامه الى المدينه برايته فيركزها على باب النبى، و لكن الرسول فى كل مره يأمره بالعوده و يحث القوم على الالتحاق به. و لكنه فى اليوم الاخير يرجع مرتين فى المره الاولى يأمره النبى بالسير قائلا: (اغد على بركه الله تعالى) فيودعه و يخرج، و فى المره الثانيه يرجع و معه عمر و أبو عبيده فيجد النبى يجود بنفسه، ثمّ يلتحق بالرفيق الاعلى.

فما ذا دهى المسلمين حتى خالفوا الصريح من أمر النبى هذه المده الطويله من غير حياء منه و لا خجل و لا خوف من الله و رسوله و توطنوا على غضبه و لعنهم جهارا، أ تراهم استضعفوا النبى و هو مريض شاك فتمردوا عليه، أم ما ذا؟

(رابعا) ان ينكر هؤلاء المسلمون على نبيهم تأميره لهذا الفتى، ثمّ لا يرتدعون ان نهاهم عن ذلك. و ليس لهم على كل حال حق هذا الانكار اذا كانوا حقا قد تغذوا بتعاليم

الإسلام و عرفوا ان النبى لا ينطق عن الهوى و ما كان لهم الخيره.

(خامسا) ان النبى قد علم بقرب أجله و يعلم ان الفتن قد أقبلت كقطع الليل المظلم، فكيف يبعد جيشه و قوته عن العاصمه و مركز الدعوه، بل كيف يخلى المدينه من شيوخ المهاجرين و الانصار و زعمائهم و اهل الحل و العقد منهم.

فلا بد أن يكون كل ذلك لأمر ما عظيم، اكثر من هذه الظواهر التى يتصورها الناس.

۳

فهل نجد حلا لهذه المشاكل تطمئن اليه النفس الحره، بعد عرفاننا للنبى و عظمته و انه لا يفعل و لا يقول إلا عن وحى و سر إلهى.

لم يصح عندنا تفسير لمشاكل هذا الحادث إلا بأن نقول انه (صلى الله عليه و آله) اراد:

(اولا) ان يهيئ المسلمين لقبول (قاعده الكفايه) فى ولايه امورهم، من ناحيه، عمليه، فليست الشهره و لا تقدم العمر هما الأساس لاستحقاق الاماره و الولايه، فاذا قال عن اسامه مؤكدا جدارته بالقسم و لام التأكيد: (و ايم الله ان كان لخليقا للاماره يعنى زيدا و ان ابنه لخليق للاماره).

و إذا علمنا ان على بن ابى طالب هو المهيأ لولايه امور المسلمين بعد النبى على الأقل ان فرض انه لم يكن هو المنصوص عليه، أ فلا يثبت لنا ان قضيه اسامه كانت لقبول الناس اماره على على صغر سنه يومئذ بالقياس الى وجوه المسلمين و كان إذ ذاك لا يتجاوز الثلاثين ؟ و هذا ما يفسر به المشكل الأول و الثانى فى هذا البعث.

و (ثانيا) ان يبعد عن المدينه ساعه وفاته من يطمع فى الخلافه خشيه ان يزيحوها عن صاحبها الذى نصبه لها فى الخلافه. و قد ثبت عنه انه كان يتوجس خيفه على اهل بيته و لا سيما على على، فوصفهم بأنهم المظلومون من بعده. و لذا نراه اوعب فى هذا الجيش كل شخصيه معروفه تتطاول الى الرئاسه، و لم يدخل فيه عليا و لا احدا ممن يميل اليه الذين كانوا له بعد ذلك شيعه و وافقوه على ترك البيعه لأبى بكر، فلم يذكر واحد منهم فى البعث، و هم ليسوا اولئك النكرات الذين لا يذكرون.

و هذا ما يفسر تباطؤ القوم عن البعث و عرقلتهم له بخلق الاشاعات فى المعسكر عن وفاه الرسول، مع اصراره (صلى الله عليه و آله) ذلك الاصرار العظيم. و لم يمكنهم ان يصرحوا بما فى نفوسهم، فاعتذروا بصغر قائدهم، و فى هذا كل معنى التهجين لرأى النبى و عصيان أمره الصريح.

فكان الغرض اخلاء المدينه من المزاحمين لعلى ليتم الأمر

له، بعد ان اتضح للنبی ان التصریحات بخلافته لا تکفی وحدها للعمل بها عندهم، کما امتنعوا عن السیر تحت لواء اسامه و هو لا یزال فی قید الحیاه، فقدر أن القوم إذا ذهبوا فی بعثهم هذا یرجعون و قد تم کل شیء لخلیفته المنصوب من قبله، فلیس یسعهم إلا ان ینضووا حینئذ تحت جماعه المسلمین و رایتهم.

و (ثالثا) ان یقلل من نزوع المتوثبین للخلافه، لیقیم الحجه لهم و للناس بأن من یکون مامورا طائعا لشاب یافع و لا یصلح لإماره غزوه موقّته کیف یصلح لذلک الأمر العظیم و هو ولایه امور جمیع المسلمین العامه، و هی فی مقام النبوه و صاحبها اولی بالمؤمنین من انفسهم.

و زبده المخض ان بعث اسامه لا یصح أن یفسر إلا بأنه تدبیر لاتمام أمر علی بن أبی طالب بمقتضی الظروف المحیطه به من تقدم النص علی علی و قرب أجل النبی (صلی الله علیه و آله) و علمه بأن هناک من لا یروق له ولایه ابن عمه، و بمقتضی الدلائل الموجوده فی الواقعه نفسها: من تأمیر فتی یافع و تکدیس وجوه القوم و قوادهم فی البعث و عدم دخول علی و من یمیل الیه و امتناع جماعه عن الالتحاق بالجیش و حث النبی علی تنفیذه و غضبه من اعتراضهم و تخلفهم، و هو فی مرض الفراق و الظرف دقیق علی المسلمین.

فهذا البعث فی الوقت الذی کان تدبیرا لإخلاء المدینه

لعلی و حزبه کـان حجه علی المستصـغرین لسـنه و دلیلاـ علی عـدم صـلاح غیره لهـذا المنصب العظیم. فاذا کان الاخلاء لم یتم لتمانع القوم و عرقلتهم للبعث فان الحجه ثابته مع الدهر.

و لاـ یصـح للباحث ان یـدعی أنّ السـبب الحقیقی لتخلف القوم هو ما تظاهروا به من عـدم الرضـی باماره قائـدهم الصـغیر، و ان تذرعوا به من عذرا لا خفاء تلک الشنشنه التی عرفها النبی من اخزم، لأنا نری ان لو کان هذا هو السبب الحقیقی، لما تنفذ البعث بعد أن تم أمر الخلافه الذی به زال المانع الحقیقی، و المسـلمون الی النبی اطوع منهم الی ابی بکر لو کان یمنعهم صغر القائد. و لم یتأب عمر نفسه بعد ذلک ان یخاطب اسامه بالامیر طیله حیاته اعترافا بامارته.

اما الشـفقه علی النبی ان لم تکن عذرا آخر تذرعوا به فلا یصح ان تکون سـببا حقیقیا، إذ ینبغی أن یکونوا علیه أشـفق بالتحاقهم بالبعث، و قـد غضب أشد الغضب من تأخرهم علی ما فیه من حال و مرض. و لئن ذهبوا یسألون عنه الرکبان کان أکثر براً بنبیهم من أن یعصوا امره و یغضبوه ذلک الغضب المؤلم له.

و لو ان القوم کانوا قد امتثلوا الأمر لأصابوا خیرا کثیرا و لتبدل سیر التأریخ و مجری الحوادث تبدلا قد لا یحیط به حتی الخیال (و لو ان أهل القری لآمنوا و اتقوا لفتحنا علیهم برکات من السماء و الأرض و لکن کذبوا فأخذناهم بما کانوا یکسبون)

و لما وقع ما وقع بعد ذلک من خلاف بین المسلمین و تطاحن و حروب دمویه انتهکت قوی الاسلام و اضعفت روحیه الدین حتی انفصمت عری الجامعه الاسلامیه سریعا و انتهکت حرمات الأحکام الدینیه، فعاد الاسلام کما نشاهد الیوم غریبا کما بدیء.

أی أمر عظیم و تدبیر حازم صنعه النبی لسد باب کل خلاف یحدث ؟ (و کل أفعاله عظیمه) لو تم ما اراد. و لکن لا امر لمن لا یطاع.

ب ائتونی بکتف و دواه

قد شاهد النبی (صلی الله علیه و آله) ما کان من أمر عرقله بعث اسامه، و هؤلاء القوم المتباطئون لم ینفع معهم صعوده المنبر عاصبا رأسه فی أشد حال لا تقله رجلاه مما به من لغوب، مشددا علیهم النکیر علی مقالتهم فی حق اسامه و تخلفهم عن البعث.

و هی اول حادثه من نوعها تمر علی النبی فی المدینه، لا یطاع امره و یتجاهل حکمه، و یتساهل فی غضبه، ثمّ لا یستطیع ان ینفذ هذا الأمر و هو مصر علی تنفیذه الی آخر یوم من حیاته إذ دخل علیه اسامه راجعا من الجرف فأمره بالسیر غادیا.

لا شک ان مثل هذا الحادث یدعو الی تدبیر آخر سریع

لاتمام الامر لعلی، و منه یتأکـد للنبی جلیا ما علیه القوم من التواطؤ علی عـدم التقیـد بالنص علی علی. و هم إذ کانوا فی حیاته لا یطیعون أمره فی هذا السبیل فکیف اذن بعد وفاته. فلم یجد بعد هذا من خیرا من ان یکتب لهم کتابا فاصـلا لا یضلون بعده ابدا، لأنه سیکون امرا ثابتا لا یقبل التأویل و النکران و التناسی، لا کالکلام الذی لا یحفظ الا فی الصدور و هی لا تسلم من دخل.

ما أعظمه من کتاب ؟

أهم لا یضلون بعده ابدا؟

ما أعظمها من نعمه!

بالله أ باللّه أ هکذا قال النبی ؟

نعم! لما اشـتد المرض به (یوم الخمیس) و فی البیت رجال منهم عمر بن الخطاب، قال (صـلی الله علیه و آله): (هلموا اکتب لکم کتابا لا تضلوا بعده ابدا).

فأیه فرصه غالیه هـذه یجب ان یقتنصـها الحاضـرون لهم و لجیلهم للأجیال اللاحقه حتی الأبـد؟ و أیه نعمه کبری هذه لا تعادلها نعمه!... أما کان علی المسـلمین ان یسـتغلوها اعظم غنیمه فیسرعوا الی تلبیه هذا الطلب لیخلد لهم الهدی ما بقوا؟ فأی شیء کان یؤخرهم عن اقتناص هذه النعمه ؟

او لیس عمر بن الخطاب حال دون هذا التدبیر، فأوهی

منه عقـدته المحكمه، فقـال: (ان رسول الله قـد غلبه الوجع أو ليهجر و عنـدكم القرآن و حسـبنا كتـاب الله)!. فاختلف الحضور و اكثروا اللغط و النقاش، منهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، و منهم من يقول: ما قال عمر.

فما ترى نبى الرحمه صانعا بعد هذا؟ أ يكتب الكتاب و هو فى زعم بعضهم على حال مرض غالب (حاشا النبى الذى لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى)، فكيف إذن يهتدون به و لا يضلون بعده ابدا، و قد وقع فيه الخلاف من الآن، و طعن بتلك الطعنه النجلاء التى لا سبر لهـا و لا غور. فلم يجـد روحى فـداه إلا ان ينهرهم و ينبههم على خطأهم فقال: (قوموا. و لا ينبغى عنـد نبى نزاع) لتبقى هذه الحادثه حجه على مرور القرون.

حقا انها لرزيه من أعظم الرزايا سببت كل ضـلال وقع و يقع بعـد النبى. و حق لابن عباس حبر الأمه ان يبكى عنـد تذكرها حتى يخضب دمعه الحصـباء و يقـول: (ان الرزيه كـل الرزيه مـا حـال بين رسـول الله (صـلى الله عليه و آله) و بين ان يكتب لهم ذلك الكتاب).

و ليفكر المفكر أى شىء كان يدعو عمر ليقول هذه المقاله القارصه فى حق النبى المختار، و ما ضره لو كان يكتب هذا

الكتاب ليعصم الخلق عن الضلاله ابد الدهور و سجيس الليالى ؟

أ كان لا يحب أن يبقى الخلق على هدى لا يضلون ؟

أم كان يعتقد حقيقه ان النبى ليهجر. و لكن لا يعتقد هذا الاعتقاد إلا من كان يجهل حقيقه النبى و ما جاء به القرآن من الآيات التى ندد بها على المشركين. و ليس ذلك عمر. و ما باله لم يعتقد بهجر ابى بكر (و ليس شأنه شأن النبى) لما أوصى بالخلافه، و كان قد أغمى عليه اثناء تحرير الاستخلاف، فأتم ذلك عثمان بالنص على عمر من دون علم ابى بكر، خشيه ان يدركه الموت قبل الوصيه، فأمضى ما كتبه عثمان لما استفاق.

أم ما ذا؟

ليتنى أستطيع أن افهم غير انه علم بما سيكتبه النبى من النص على على، و قد سبق للنبى ان عبر مثل هذا التعبير فى العتره يوم الغدير إذ ذكر الثقلين كتاب الله و عترته اهل بيته و وصفهما بأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، ثمّ قال: (لن تضلوا ان اتبعتموها)(1) أو على المشهور (لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما ابدا) ففهم عمر من قوله: (لا تضلوا بعده ابدا) ما ذا سيريد ان يكتب الرسول. و يشهد لتنبه عمر

۱- (۱) مستدرک الحاکم (۱۰۶:۳).

لـذلك قوله: (حسـبنا كتـاب الله) إذ فهم ان غرض النبى ان يقرن الثقلين احـدهما بالآـخر فكـأنه قـال: يكفينـا واحـد منهمـا و هو الكتاب و لا حاجه لنا بالآخر، و إلا فما كان معنى لقوله حسبنا... و هو يدعى هجر النبى (صلى الله عليه و آله)

فكـانت هـذه المقـاله من عمر و المقـاله بمشـهد النبى للحيلوله دون الكتـاب لعلى، اقـداما جريئا جاء فى وقته المناسب له قبل أن تفوت الفرصه. و لاـ يشـبهه أى موقف آخر منه على كثره مواقفه فى اتمـام البيعه لأـبى بكر، كمـا سـنرى فى انكاره موت النبى و موقفه فى السـقيفه و بعدها فانه هو الذى شـيد(۱) بيعه ابى بكر و كافـح المخـالفين. و لولاـه لم يثبت لأـبى بكر امر و لا قامت له قائمه: فقد كسـر سـيف الزبير، و دفع فى صدر المقداد، و وطأ سـعد بن عباده و قال: اقتلوه فانه صاحب فتنه، و حطم انف الحباب بن المنـذر، و توعد من لجأ الى بيت فاطمه عليها السـلام و كان بيده عسـيب نحل(۲) بعد خروجهم من السـقيفه يدعو الناس الى البيعه...

و لاـ يسـتطيع البـاحث ان ينكر مـن عمر بـن الخطـاب تمـالؤه على على بن ابى طـالب و يقظته فيمـا يخص اسـتخلافه. و كـذلك جماعته الذين شاهدنا منهم التعاضد و التكاتف فى اكثر

۱- (۱) راجع شرح ابن ابى الحديد (۵۸:۱).

۲- (۲) راجع كنز العمال (ج ۳ رقم ۲۳۴۶ و ۲۳۶۳).

الحوادث کأبی بکر و ابی عبیده سالم مولی حذیفه و معاذ بن جبل و اضرابهم. و کذا علی نفسه ظاهر علیه جلیا میله عن هؤلاء فی جمیع مواقفه معهم حتی انه لم یبایع ابا بکر حتی ماتت فاطمه فبایع مقهورا، و لم یدخل فی حرب قط علی عهد الخلفاء الثلاثه، و هو ابن بجدتها و قطب رحاها. و کان یتهم عمر انه لم یشد أزر ابی بکر إلا لیجعلها له بعده فقال له مره: (احلب حلبا لک شطره اشدد له الیوم أمره لیرده علیک غدا)(۱) و قد صدقت فیه مقالته فاستخلف من قبل ابی بکر.

و هل یخفی علی أحد ما کان فی القلوب من تنافر؟ و یکفی شاهدا أن نسمع المحاوره التی دارت بین عمر بن الخطاب و ابن عباس کما رواها ابن عباس(۲).

عمر (لابن عباس): أ تدری ما منع قومکم منکم بعد محمد؟

ابن عباس: (و هو یکره أن یجیبه) ان لم أکن أدری فأمیر المؤمنین یدرینی.

: کرهوا أن یجمعوا لکم النبوه و الخلافه، فتبجحوا

۱- (۱) السیاسه و الامامه: باب امامه ابی بکر. و شرح النهج (۲:۵).
۲- (۲) الطبری (۳۱:۵) و ابن الأثیر (۳۱:۳) و شرح النهج (۱۸:۲).

على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت و وفقت.

: يا أمير المؤمنين إن تأذن لى فى الكلام و تمط عنى الغضب تكلمت.

: تكلم:

: اما قولك: (اختارت قريش لأنفسها فأصابت و وفقت) فلو ان قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز و جل لها لكان الصواب بيدها غير مردود و محسود. و أما قولك: (انهم كرهوا ان تكون لنا النبوه و الخلافه) فان الله عز و جل وصف قوما بالكراهيه فقال: (ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم).

: هيهات! و الله يا ابن عباس قد كانت تبلغنى عنك أشياء كنت أكره ان افرك عنها فتزيل منزلتك منى.

: و ما هى ؟ فان كانت حقاً فما ينبغى ان تزيل منزلتى منك و ان كنت باطلا فمثلى اماط الباطل عن نفسه.

: بلغنى انك تقول انما صرفوها حسداً و ظلماً.

: اما قولك (ظلما) فقد تبين للجاهل و الحليم. و أما قولك (حسداً) فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

: هيهات! ابت و الله قلوبكم يا بنى هاشم إلا حسداً ما يحول و ضغنا و غشا ما يزول.

: مهلا! لا تصف قلوب قوم اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا بالحسد و الغش، فان قلب رسول الله من بنى هاشم.

: اليك عنى ؟

***

نقلنا هذه المحاوره بطولها لانها تجلى كثيرا من الغوامض فى بحثنا، فهى تكشف لنا:

(اولا) عما فى نفوس الطرفين من نزوان بغضاء كامنه يستطير شرارها. و هذا ما أردنا استكشافه الآن و سقنا لأجله المحاوره.

و (ثانيا) عن ان القوم كانوا قد تعمدوا منع الأمر عن آل البيت، و ان منعهم كان عاطفيا كراهه اجتماع النبوه و الخلافه فيهم خشيه تبجحهم، و قد فسر ابن عباس هذه الخشيه بالحسد و انها من الظلم. و استشعر الألم الكامن من تأكيد هذه الكلمه (بجحا بجحا).

و (ثالثا) عن ان الامامه انما هى باختيار الله، و أن الخلافه فى آل البيت مما انزله الله، و ليست تابعه لاختيار قريش و كراهتهم.

و (رابعا) عن ان ظلمهم لآل البيت بأخذها منهم مشهور يعرفه كل احد.

و هـذان الامران الأخيران صـرح بهما ابن عباس على شـده تحفظه و اتقائه غضب عمر الـذى لم يسـلم منه بالأخير. و لم يرد عليه عمر الرد الـذى يكـذب هـذا التصـريح اكـثر من الطعن فيه و فى بنى هـاشم ثمّ الزجر له بقوله: (اليـك عنى). و هـذا الزجر ينطق صريحا بالعجز عن الجواب، فختمت به المحاوره.

و الغرض من كـل ذلـك ان اقـدام عمر الجرىء، على نسـبه الهجر الى النبى المعصوم، و على دعوى ان كتـاب الله وحـده كـاف للناس بلا حاجه الى شىء آخر على عكس تصريح النبى، لا يستغرب منه ما دام القصد منع الأمر عن على.

و قد اتضح ان بينهما ما لا يستطيع التأريخ نكرانه و التمويه فيه.

و أمـا اعتـذار بعض النـاس عنه بـأنه ظهر له ان الأمر ليس للوجوب فهو اعتـذار بارد لا يقره العلم. فمن اين ظهر ذلك ؟ أمن قول النبى (لا تضـلوا بعـده أبدا) و هل هناك أمر اعظم مصـلحه فى الحكم الشـرعى تجعله للوجوب من هدايه الخلق اجمعين الى أبد الـدهور ام من وقوع النزاع و غضب النبى و زجرهم بالانصـراف. و اذا كان قد فهم الاسـتحباب فلما ذا يرده بأشـنع كلمه لا يواجه بمثلها الرجل العادى من

الناس لا سيما عند المرض، أعنى كلمه الهجر و الهذيان، مهما لطف العباره بتحويلها الى كلمه (قد غلبه الوجع). ثمّ أى معنى حينئذ لقوله: (حسبنا كتاب الله)، و هو رد على النبى و تدخل فى مصلحه الحكم و اساسه، و كان يغنيه ان يقول لا يجب علينا امتثال الأمر.

***

و الخلاصه إن الكتاب الذى أراد أن يكتبه النبى (صلى الله عليه و آله) من نفس وصفه له: (لا تضلوا بعده أبداً) و من نفس رد عمر (حسبنا كتاب الله) و من قرائن الأحوال المحيطه بالقصه بعد سبق توقف البعث عن الذهاب نعرف ان المقصود منه النص على خليفته من بعده و هو على بن أبى طالب، لا سيما ان كل خلاف بين المسلمين و كل ضلال وقع و يقع فى الأمه هو ناشئ من الخلاف فى أمر الخلافه فهو أسّ كل ضلاله. و لو تركوا النبى يكتب التصريح بالخلافه من بعده لما كان مجال للشك و الخلاف الا بالخروج رأسا عن الاسلام.

و ليس بالبعيد انه (صلى الله عليه و آله) امتنع عن التصريح شفاها أو كتبا بعد هذه القصه بالنص على خليفته لئلا يأخذ اللجاج بالبعض الى الخروج على الاسلام، فتكون المصيبه أعظم على الاسلام و المسلمين و هذا ما حدا بعلى عليه السلام إلى المجاراه و المماشاه، فلذا قال فى خطبته الشقشقيه: (فطفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخيه عمياء...

فرأيت ان الصبر على هاتا أحجى...). و سيأتى فى الفصل الرابع الكلام عن موقفه مع الخلفاء تفصيلا.

ص:۹۴

الفصل الثالث: بيعَه السقيفه..

اشاره

ص:۹۵

(۱ الدوافع لاجتماع السقيفه

(۱)

تصور الأنصار انهم الذين آووا و نصروا يوم عز الناصر، و أسلموا يوم قحط المسلمين، فبذلوا للاسلام نفوسهم و اموالهم، فكانوا بحق (انصاراً) كما سماهم النبى صلى الله عليه و آله، و (حضنه الاسلام و اعضاد المله) كما دعتهم الزهراء عليها السلام فى خطبتها الشهيره عند مطالبتها بالنحله.

اذن، لا بد أن يروا لأنفسهم حقا فى الإسلام لا يغمط و سابقه ليست لغيرهم لا تنكر، و لهم فى تشييده يد مشهوره و ذكر جميل.. و هذا ما يطمعهم فى اماره المسلمين كجزاء

۱- (۱) السقيفه: الصفه و الظله، و هى شبه البهو الواسع الطويل السقف. و كان لبنى ساعده بن كعب بن الخزرج و هم حى من الأنصار و منهم سعد بن عباده نقيبهم و رئيس خزرج ظله يجلسون تحتها هى دار ندوتهم لفصل القضايا اشتهرت (بسقيفه بنى ساعده). اجتمع فيها الأنصار اوسهم و خزرجهم ليبايعوا سعد بن عباده خليفه بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

لتضحيتهم فی سبیل الاسلام و کنتیجه لنجاحهم و تفوقهم علی العرب فی النصره و الایواء.

و من جهه ثانیه: انهم کانوا قـد وتروا قریشا و العرب؛ و أیه تره هی ؟ آووا و نصـروا من سـفه أحلامهم، و هم یحرقون الارم علیه لیقتلوه، فتمنع عن جبروتهم باولئک المستضـعفین فی نظر (أهل النواضح) و اکثر من ذلک انهم قتلوا صنادیدهم و اسروا رجالهم و جعجعوا بهم حتی دانت بأسـیافهم العرب. فکانت الأنصار و الحال هـذه تتخوف هؤلاء الذین و تروهم اذا خلصت الیهم الاماره ان یأخـذوهم بترتهم، و هم عندئذ المغلوبون علی أمرهم سوقه لا یملکون لأنفسـهم قوه و لا دفاعا، و کفاهم ما سـمعوه من النبی (صـلی الله علیه و آله) مخاطبا لهم: (سـتلقون بعدی أثره فاصبروا حتی تلقونی علی الحوض). و المناظره التی وقعت یوم السـقیفه کانت تشـیر الی تخوفهم هـذا، بل صـرح الحباب بن المنـذر إذ یقول: (و لکنا نخاف ان یلیها بعدکم من قتلنا ابناءهم و آباءهم و اخوانهم). و قد صدقت فراسـته فتولی الأمر بنو أمیه و کان ما کان منهم فی وقفه (الحره) المخزیه التی یندی منها جبین الشرف و الانسانیه، و یبرأ منها الاسلام و أهله.

و شیء ثالث هناک: إذا کان صاحب الأمر هو علی بن أبی طالب، فلم یخف علیهم حسد العرب له و تمالؤها علیه،

و هی موتوره له اکثر من أی شخص آخر من المسلمین بعد النبی، فلا تمکنه العرب و قریش خاصه من امورهم. و لیس بعیدا عهد تأخر جیش اسامه و الحیلوله دون کتاب النبی. و لا بد انهم علموا بمؤامرات هناک و تفکیرات احسوها عیانا فی جماعه من الناس. فالأنصار و الحال هذه قد لا یرون کبیر إثم فی تطاولهم لمنصب الخلافه، ما دامت خارجه عن معدنها، و لا یأمنون أن یتولاها من لا یحمدون مغبه أمره، و لا یجدون غیرهم ممن یتطاولون لها اولی بها فی نصره و خدمه و تضحیه، و لعلهم لأجل هذا لما یئسوا من الأمر بعد محاولتهم الفاشله و رأوه قد خرج من أیدیهم ایضا قال کلهم أو بعضهم: (لا نبایع إلا علیا)(۱) و لکن بعد خراب البصره.

هذه أسباب قد تقنع النفوس الاعتیادیه علی تنفیذ رغباتها، و تحملها علی الاعتقاد بصحه ما یوحی الیها أهواؤها بقصد أو بغیر قصد من جراء تأثیر العاطفه، فتعمی العین عن أوضح ما یقوم فی طریقها من نور للحق و دلیل علی فساد ایحاء النفس بنزعاتها، و هذا ما یؤیده علم النفس.

و إذا نحن تفهمنا هذه الحقائق و تدبرناها جیداً استطعنا ان نعرف السر فی استباق الأنصار بهذه العجاله الی عقد

۱- (۱) الطبری (۱۹۸:۳) و ابن الأثیر (۱۵۷:۲) و غیرهما.

اجتماعهم سراً فی سقیفتهم، و استطعنا ان نعرف لما ذا کان سریاً بلا مشوره لمهاجرین و لا باقی المسلمین.

أجل! ما هو إلا- لأنهم طلبوا الغره من أصحاب الرسول و اهل بیته، فانتهزوا فرصه انشغالهم بفادحهم العظیم و بجهازهم نبیهم، لیحکموا البیعه لأحد نقبائهم و سید الخزرج، أو لأی شخص آخر منهم قبل ان یفرغ أهلها أو طالبوها. و حینئذ ظنوا ان سیتم لهم کل شیء.

۲ نفسیه الأنصار

حاولنا فی البحث السابق ان نتشبث بما یرفع الأنصار عن سوء النیه و القصد، و لکنا نؤمن بأن ما قلنا عنهم لا یخرج عن عده من الوساوس التی لا- تبرر عمل المرء من الناحیه الدینیه. علی انا نرجو ان یکونوا معذورین فیما عملوا لئلا نخسر عدداً وفیراً من الصحابه.

اما نفس عملهم سواء کانوا بسوء نیه أم لا- فلا یسعنا ان نحکم بصحته، فإنا مهما فرضنا الحقیقه من جهه النص علی الامام فان استبدادهم هذا و تسرعهم فی عقد اجتماعهم لنصب خلیفه منهم لا یخرج عن عده خیانه للاسلام و تفریطاً فی حقوق المسلمین بلا مبرر، و فی وقت قد دهمت الاسلام فیه هذه الفاجعه

الدهيماء، و المسلمون كالمذهولين بمصابهم لا يعلمون ما ذا سيلاقون من العرب و اعداء الاسلام.

و لا نريد الآن ان نجلس فى دست القضاء لنحكم لهم أو عليهم، و لعل هناك من يرى صحه عملهم فلا نضايقه، و إنما مهمتنا ان ندرس الاسباب التى دعتهم إلى عملهم هذا، و أن ندرس نفسياتهم.

فى البحث السابق رأينا ان خدمتهم للاسلام الممتازه هى التى خيلت لهم الحق فى الخلافه أو فى سلطان المسلمين. و هذا نعرفه من حجتهم على لسان المرشح منهم للخلافه سعد بن عباده فى خطبته ذلك اليوم، ينضم الى ذلك تخوفهم من ان يخلص الأمر الى من قتلوا أبناءهم و آباءهم و اخوانهم، مع اعتقادهم بخروج الأمر عن أهله، و يدل على هذا الأخير كما تقدم طلبهم مبايعه على بعد اليأس.

هذه الأسباب التى استطعنا عرفانها. و كل ذلك تقدم و فيها قبس نسير على ضوئه لمعرفه نفسياتهم.

فانا نعرف مجموعها انهم فى محاولتهم كانوا مدافعين اكثر منهم مهاجمين، و الدفاع دائما يكون عن الشعور بالضعف و الانخذال و هذا الشعور من أعظم الأدواء النفسيه لمن أراد الظفر فى الحياه، إذ ينشأ منه الوهن فى العزيمه و الضعف فى

الاراده و الاضطراب فی الرأی و التدبیر. و کل ذلک کان ظاهراً علی الأنصار فی اجتماعهم بالسقیفه.

و الشاهد علی ذلک: انقسامهم علی انفسهم و انسحابهم امام خصومهم کما سترى، و أعظم من ذلک تنازلهم الی الشرکه فی الأمر من قبل أن ینازعهم منازع، اعنی قبل مجیء جماعه المهاجرین الیهم، إذ قال قائلهم: (فانا نقول إذن أی عند ما ینازعوننا منا أمیر و منکم أمیر، و لن نرضی بدون هذا أبداً)، فقال لهم سعد: (هذا اول الوهن). و الحق انه اول الوهن و آخره. ثمّ یستمر معهم هذا التنازل حتی مجیء المهاجرین، فکرروا هذه الکلمه بالرغم علی تنبیه سعد لهم انها من الوهن.

و هذا یکشف ایضا عن سماحه فی نفوسهم و لین فی طباعهم، و یصدق ما قلناه انهم مدافعون اکثر منهم مهاجمین، فلم یطلبوا الاماره لیملکوا مقدرات الأمه و شئونها بل لیدفعوا ضرر من یخافون ضرره، فاکتفوا بالشرکه التی یحصل بها الغرض من الدفاع.

و الانصاف ان الأنصار لا ینکر ما هم علیه من استکانه و استخذاء و قصر الرأی و التدبیر، و ضعف فی العزائم، و لا سیما امام دهاء قریش و قوتها، و ان حاول بعضهم و هو الحباب بن المنذر ان یستر هذا الضعف. إذ قال فی خطابه

ذلـك اليوم: (يـا معشـر الأنصـار املكوا عليكم أمركم فـان النـاس فى فيئكم و فى ظلكم و لن يجترئ مجترئ على خلافهم و لن يصدر الناس إلا عن رأيكم. و أنتم اهل العزه و الثروه...). فاطرد خطبته على هذا الاسـلوب زاعما ان سيرفع من منعتهم و بأسهم و يسـد خللهم، و نهاهم عن الاختلاف و حـذرهم عواقبه حتى قال: (فان أبى هؤلاء فمنعكم أمير و منهم أمير). و لكنه كما ترى بينا هو محلق فى السـماء رفعه و تعاظمـا و يملى ارادته قوه إذا به يهبط الى الحضـيض ضـعفا، إذ يقول: (فان ابى هؤلاء..) و نقول له: فان ابى هؤلاء الشـركه ايضا فما أنتم صانعون ؟ لا شك ان ذلك الضعف الذى يملى عليه التنازل هو ذلك الضعف عينه موجود ايضا سيملى عليه التنازل عن جميع الامر، كما وقع.

و هذا من تنازل الخائر المغلوب على امره و تدبيره. و كانت عليه بذلك الحجه الظاهره، فقال له عمر بن الخطاب:

(هيهات لا يجتمع اثنان فى قرن) أو ما ينسق على هـذا المعنى، على ان الحباب هـذا من أقوى من وجـدنا يومئذ و اشـجعهم قلباً و أجرأهم لسانا، و أغلظهم على المهاجرين، لو لا سعد بن عباده.

الى هنا لعلنا لمسنا شيئا من نفسيه الأنصار ادركنا مقدار الضعف فى نفوسهم، و الوهن فى عزائمهم، و الاضطراب فى

تدبیرهم. کیف و قد تجلی ذلک فی الحباب لسانهم المفوه و خطیبهم المصقع ذلک الیوم، و هو أقوی شکیمه و اکثرهم اعتداداً بنفسه و قومه، و کان یدعی بینهم (ذا الرأی).

بقی علینا ان ندرک لما ذا کل هذا الحذر من الحباب من اختلافهم إذ یقول: (و لا تختلفوا فیفسد علیکم رأیکم و ینتقض علیکم أمرکم)؟ لا بد انه کان یحس بشراره الخلاف تقدح، و یتوجس خیفه من الانتقاض و هذا ما سنبحث عنه فی الآتی.

۳ الأنصار حزبان

إذ قیل الأنصار أرادوا البیعه لسعد، فانما هم الخزرج فقط دون الاوس(۱). و إذا کان الاوس اجتمعوا فی السقیفه مع الخزرج فانما هو علی ظاهر الحال، و لحس مشترک بالخوف ممن قتلوا آباءهم و ابناءهم أن ینالوا الاماره، و هم یبطنون فی نفس الوقت للخزرج کمین أحن تتغلغل فی صدورهم، فان بین الحیین دماء مطلوله ما زال نضخها علی سیوفهم و جروحاً

۱- (۱) و لذا یقول المؤرخون عند ذکرهم لبیعه الاوس: (فانکسر علی الخزرج ما کانوا اجمعوا علیه).

بالغه لا يلأم صدعها و لا يرجى رأبها. و كان آخر أيام حروبهم يوم (بُعاث) المشهور و هو قبل الهجره بست سنين، و هو سبب اسلامهم على ما قيل إذ جاء أحد القبيلين بعد يوم بعاث الى مكه يستنجد قريشا على الفريق الثانى، فالتقوا بالنبى (صلى الله عليه و آله) و هداهم الله تعالى الى الاسلام.

و كان رئيس الاوس يوم بعاث حضير الكتائب ابو اسيد بن حضير هذا الذى أفسد الأمر على سعد و بايع أبا بكر و معه الاوس. و كان رئيس الخزرج عمرو بن النعمان، ابو النعمان صاحب رايه المسلمين يوم احد(۱).

و لم يلطف الاسلام كثيراً من تنافسهم و تحاسدهم، و ان اطفأ بينهم نار الحروب، فقد كانا يتصاولان تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا إلا قالت الخزرج نفاسه: لا يذهبون بهذا فضلا علينا. فلا ينتهون حتى يوقعوا مثله. و كذلك اذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مقالتهم و صنعت صنعهم(۲).

و من منافساتهم التى بلغت حد الافراط يوم استعذر رسول الله من عبد الله بن ابى سلول المنافق الشهير و هو من الخزرج فقال: (يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد

۱- (۱) راجع العقد الفريد (۲:۲۵۰).

۲- (۲) الطبرى (۷:۳) و ابن الأثير (۶۶:۲).

بلغنی عنه اذاه فی أهلی.) الی آخر ما قال، فقام سعد بن معاذ رئیس الاوس فقال: (یا رسول الله انا و الله اعذرک منه ان کان الاوس ضربنا عنقه و إن کان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فیه أمرک) فتری سعداً کیف تجاهل الشخص المعنی و تحفظ عند ذکر الخزرج مما یدل علی شدید تنافسهم فقام سعد بن عباده سید الخزرج فقال لابن معاذ: (کذبت لعمر الله لا تقتله و لا تقدر علی قتله و لو کان من رهطک لما أحببت ان یقتل) فقام اسید بن حضیر ابن عم سعد بن معاذ فقال لابن عباده: (کذبت لعمر الله لنقتلنه فانک منافق تجادل عن المنافقین). فثار الحیان الاوس و الخزرج حتی هموا ان یقتتلوا و رسول الله قائم علی المنبر فنزل فخفضهم حتی سکتوا و سکت(۱).

هکذا هم الاوس و الخزرج حزبان متنافسان متحاسدان و انما سعد بن عباده بادئ بدء یوم السقیفه أراد ان یستمیل الاوس باسم الأنصار، و هم حزب واحد امام حزب المهاجرین و قریش، فقال معرضا بخصومهم فی خطبته علی الأنصار: (یا معشر الأنصار ان لکم سابقه فی الدین و فضیله لیست لقبیله من العرب.) و یقصد المهاجرین. و هکذا مضی فی خطبته یضرب علی هذا الوتر الی ان اجابوه جمیعا: (أن

۱- (۱) راجع البخاری (۶:۲ و ۲۴:۳).

وفقت فی الرأی و أصبت فی القول و لن نعدو ما أمرت، نولیک هذا الأمر، فأنت لنا مقنع و لصالح المؤمنین رضی).

ثمّ انهم ترادوا الکلام فیما إذا أبت المهاجرین من قریش بیعتهم، فقالت طائفه: (اذن نقول منا امیر و منکم امیر). فقال سعد: (هذا اول الوهن) و قد سبقت الاشاره الیه. و فی الحقیقه انه اول الوهن و تنازل منهم عرفنا فیما سبق دلالته علی مبلغ ضعف ارادتهم امام اراده قریش حتی قبل مواجهتهم، بل یدل ایضا علی تخلخل صفوفهم و وجود خلاف کامن کمون النار فی الرماد، فلم یتأثروا بدعوه سعد، و أبطئوا علیه حتی داهمهم المهاجرون، و هم إنما اسرعوا الی عقد هذا الاجتماع لیسبقوا الحوادث، و إلا فقد کانت الفرصه الکافیه لبیعته من قبل ان یعلم جماعه المهاجرون باجتماعهم فتکبسه علیهم. لو لا انهم اضاعوها باختلافهم و تباطئهم حتی مضی الوقت. و مثل هذه الامور بعرف الساسه لا تقبل الاناه و الابطاء.

و الحق ان الاوس کانوا غیر مرتاحین لبیعه سعد، و هم یتنافسون مع الخزرج فی أتفه الأشیاء و ادناها، و کأنهم کانوا لا یریدون ان یبدءوها بالخلاف خشیه أن یقال: (اوس و خزرج)، و فی هذه الکلمه ما فیها من معان لا تتفق و روحیه الاسلام، فیبتعدون عنها ما استطاعوا ان المجامله محفوظه

بين الطرفين. و لـذلك لما رأوا المجال للوثبه واسـعا نقضوا أمر سـعد و ما اجتمعت عليه الخزرج، و هـذا عند ما رأوا ان الخلاف جاء من الخزرج انفسـهم بمقاله بشـير بن سـعد الخزرجى، و ستأتى، و باسراعه الى بيعه ابى بكر، و قد كان اول المبايعين. و ايضا رأوا ان الدعوه ضد سعد أنما جاءت من قبل غيرهم و هم المهاجرين.

فظهرت منهم حسـيكه الخلاف و التناقض، و قال بعضـهم لبعض و فيهم اسـيد بن حضير زعيمهم: (لئن وليتموها سعداً عليكم مره واحده لا زالت لهم بذلك الفضـيله و لا جعلوا لكم فيها نصـيبا أبداً فقوموا فبايعوا ابا بكر) فقام اسيد فبايع و معه الاوس، و ليسأل السائل هل جُعل لهم نصيب فيها بمبايعتهم لأبى بكر؟ و لكنه التنافس هو الذى أملى عليهم هذا القول و منافسه القرابه ابعد أثراً و اعظم مفعولا.

هـذا و لاـ ينكر مـا لأبى بكر من كبير أثر فى اسـتماله الاوس الى جانب المهاجرين، فقـد وقف موقفا مؤثراً و كان يعرف من اين تؤكل الكتف فلم يفته ما كان يعلمه من التنافس بين الحيين، حتى اسـتغله لانقاذ الموقف و برع فى هـذا الاسـتغلال، فقـد قال فى ذلـك اليوم: (ان هـذا الأـمر ان تطـاولت اليه الخزرج لم تقصـر عنه الاـوس و ان تطاولت اليه الاوس لم تقصـر عنه الخزرج، و قد كانت بين الحيين قتلى لا تنسى و جراح لا

تداوی، فان نعق منکم ناعق جلس بین لحیی اسد یضغمه المهاجری و یجرحه الأنصاری)(۱).

فانظر الی کلمه (لم تقصر) و ما لها من بلیغ اثر فی القلوب المتحاسده و ما بها من تحریض لأحد المتناظرین علی نظیره المتطاول.

نعم! انها لتجعل لکل من الحیین الکفایه تجاه الحی الآخر، فان تطاول احدهما و هم الخزرج الآن فحقیق بالآخر ان یتطاول لها ککفتی میزان، من غیر فضیله یختص بها المتطاول. فلا تسل کیف اشرأبّت اعناق الاوس لهذا الأمر؟

و بعدها انظر کیف ذکر التراث السابقه و نبش الدفائن. و هذا ما یثیر بالحفائظ و یوقظ الضغائن. و هنا راح یستدل علی خطأ تولی أحد الحیین لهذا الأمر، لأنه یقع بین خصمین ألدین: فرماهم بالمسکنه کما یقول ابن دأب عیسی بن زید.

استطعنا فی هذا البحث أن نلمس التنافس بین الاوس و الخزرج لنعرف مدی تأثیره علی مجری حادث السقیفه، کما عرفنا ان اهل الدعوه عند التحقیق انما هم الخزرج فقط، و لم تشارکهم الاوس مشارکه جدیه.

۱- (۱) البیان و التبیین (۳:۱۸۱).

فلنترک الأنصار الآن مجتمعین فی السقیفه یتبارون الخطب و یتحمسون لجهادهم و تضحیتهم، و سعد بن عباده قد ترأس حفلهم یخطبهم و یقول فی آخر خطبته: (استبدوا بالأمر دون الناس فانه لکم دون الناس) و لنذهب میممین المهاجرین و باقی المسلمین حول دار النبی فی المسجد، لنراهم ما ذا هم صانعون!

۴ هل مات النبی محمد...؟

نعم! کان رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم قد خرج فی آخر فجر من حیاته الی الصلاه، فصلی بالمسلمین الغداه. و کان هذا آخر عهدهم برؤیه تلک الطلعه المحبوبه و ذلک النور الالهی.

و لم تزل شمس السماء إلا و قد آذنت شمس الأرض بالمغیب من افقها الی افق الحق الدائم، و ها هو ذا النبی مسجی بین اهله ینتدبون فیه حظهم، و الباب مغلق دون الناس.

انه یوم...! و أی یوم هو علی اهل المدینه و المسلمین!.

فقدوا...؟ و أیه نعمه فقدوا...؟

فقدوا الرحمه و الانسانیه. فقدوا الأخلاق الالهیه. فقدوا

حياتهم و عزهم و مجدهم. فقدوا طريق الحق اللاحب و صراط الله المستقيم و نوره المشرق بآياته الباهره...!

فقدوا نبيهم العظيم و أباهم الكريم...!

فاعظم بيومه يوما! و اعظم به فقيدا!

انه يوم كان للمسلمين مضرب المثل فاذا بالغوا فى يوم مصيبه قالوا: (انه كيوم مات فيه رسول الله).

و ما تنتظر من المسلمين ساعه يسمعون الواعيه و الباب مغلق على من فيه، إلا ان يُهرعوا فيجتمعوا فى مسجدهم و الطرقات، نكسا ابصارهم مطأطئى رءوسهم. و لم تبق عين لم تدمع؛ و لا قلب لم يجزع، و لا نفس لم يتقطع.

و ما ينتظرون هم...؟

لا شك ليس هناك ما يدعوهم الى تكذيب النعاه. و إذ علموا آنئذ أن مجرى حياتهم قد تبدل راحوا و لا شك يتطلعون الى ما يظهر لهم على مسرح العالم الاسلامى من حوادث و مفاجئات، فتطيش لذلك عقولهم، و يقوى حسهم بمستقبل هذا الدين الجديد الذى أخذ بأطراف الجزيره، و المنافقون يتحينون به الفرص، فتنهد عزائمهم، و يستشرفون على الأكثر على خليفه النبى الذى سيقود الأمه لينقذ الموقف، فيضربون اخماسا فى اسداس.

كل هذه الأفكار و أكثر منها بغير شك كانت تمر على

رءوس ذلك الجمع الحاشد الطائش اللب الحائر الفكر، الذى يحوم حول دار النبوه و الوحى، يرقب منها على عادته ان تبعث له بما يطمئن خاطره و يهدئ روعه و يعرفه مستقبل أمره، حتى اصبح الناس كالغنم المطيره فى الليله الشاتيه (كما فى الحديث).

و لكن.. و لكن عمر بن الخطاب صاحب رسول الله ذلك الرجل الحديدى أبى على الناس تصديقهم بموت نبيهم؛ إذ طلع صارخا مهددا (و قد قطع عليهم تفكيرهم و هواجسهم) و راح يهتف بهم: (ما مات رسول الله و لا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله. و ليرجعن فليقطعن أيدى رجال و أرجلهم ممن ارجف بموته. لا أسمع رجلا يقول مات رسول الله إلا ضربته بسيفى).

أ تراك (لو خلوت بنفسك و أنت هادئ الأفكار) تقتنع بوحى هذه الفكره من هذا الذى لا يقعقع له بالشنان، و أنت لا تدرى لما ذا رسول الله يقطع أيدى و أرجل من أرجف بموته، أو بالأصح من قال بموته ؟ و لأى ذنب يستحق الضرب بالسيف هذا القائل ؟ و من أين علم ان رسول الله لا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله ؟ و ما هو هذا الرجوع ؟ أ رجوع بعد الموت او بعد غيبه (كغيبه موسى بن عمران كما يدعيها عمر بن الخطاب فى بعض الحديث) و لكنها أيه غيبه هذه و هو مسجى بين اهله لا حراك فيه ؟

إلا انى اعتقد انك لو كنت ممن ضمه هذا الاجتماع

لذهبت بتياره و لتأثرت بهذا القول الى أبعد حد كسائر من معك ما دام الاجتماع بتلك الحال التى وصفناها، و الخطيب هو عمر بن الخطاب، و قد جاء بتلك الدعوه الثائره، فى صرامه اراده و رأى بلغا أقصى درجات الصرامه، و قد استعمل المغريات الخلابه للجماعات: فمن أمل بحياه الرسول و باظهار دينه على الدين كله الى توعيد بقطع رسول الله أيدى و أرجل المرجفين بموته، و تهديد منه (اعنى عمر) بقتل من يقول مات رسول الله.

انهما الخوف و الأمل إذا اجتمعا مع هذا الرأى القاطع و الاراده الصارمه لهما التأثير العظيم الذى لا يوصف على افكار الجماعه الاجتماعيه و أى تخدير بهما لأعصاب المجتمعين. و من وراء ذلك أن شأن المحبين يتعللون فى موت حبيبهم إذا نعى بالأوهام و لا يرضون لأنفسهم التصديق بموته لا سيما مثل فقيدهم هذا العظيم الذى يجوز عليه ما لا يجوز على البشر.

و لا شك ان مميزات الجماعه المقصوده لعلماء الاجتماع كانت متوفره فى الاجتماع الفجائى المضطرب الأفكار المتأثر بهذا الحدث العظيم المتحفز للحوادث المجهوله و المفاجئات المنتظره. و من البديهى ان الاجتماع الذى يتألف على هذا النحو تتكون منه روح واحده مشتركه حساسه تتغلب على نفسيات أفراده الشخصيه، و تكون هذه الروح خاضعه

لمؤثرات لا ـ حكم لها غالبا على روحيه الفرد لو كان خارج الاجتماع. و أهم خواص هذه الروح انها تكون عرضه للتقلبات و الانقلابات الفجائيه و يبطل فيها حكم العقل و سلطانه و يقوى سلطان المحاكاه و التقليد الأعمى. و لذلك لا تفكر الجماعات إلا بأحط فكره فيها، و تقبل ايضا كل فكره تعرض عليها إذا اقترنت بالمؤثرات الخلابه و ان خرجت عن حدود المعقول. و من أقوى المؤثرات شخصيه الخطيب و صرامه رأيه.

فلا نستغرب قناعه المسلمين يومئذ برأى عمر بقدر ما نستغرب منه نفسه هذا الرأى، و إن لم ينقل لنا صريحا قبولهم له، كما لم ينقل فى الوقت نفسه اعتراض أحد عليه سوى ابى بكر و قد جاء متأخرا. و إذا أبيت فعلى الأقل شككهم فى موت النبى و ألهاهم عن التفكير فيما يجب أن يكون بعده و فيما سيحدث من حوادث منتظره، لأنهم لا ـ شك التفوا حوله عجبين مستغربين و هو مستمر يبرق و يرعد مهددا حتى (ازبد شدقاه).

و لكلمه (الارجاف) هنا التأثير البليغ فى اقلاع أفكار الجماعات عن الدعوى التى يدعونها لأنها من الألفاظ الخلابه التى تتضمن التهجين الشنيع للدعوى و الاشمئزاز منها الى أبعد حد، إذ تشعر هنا ان مدعيها من المنافقين الذين لهم غرض مع النبى و الاسلام، فقال: (... ممن ارجف بموته)

و لم يقل ممن ادعى أو قال. و هذا كاف للتأثير على الجماعات و تكوين الشعور بكراهيه دعواها.

و يشهد لتأثير كلامه على سامعيه التجاء ابى بكر لما جاء من السنج(۱) أن يكشف عن وجه النبى ليتحقق موته، ثمّ يخرج الى الناس مفندا مزاعم عمر، و عمر مستمر يحلف انه لم يمت. و طلب اليه ان يجلس فلم يجلس ثلاث مرات، فقال له: (أيها الحالف على رسلك).. ثمّ قام خطيبا فى ناحيه اخرى و قد اجتمع حوله الناس فتشهد و قال و عمر مستمر و قد تركه الناس:

(من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات، و من كان يعبد الله فان الله حى لا يموت...). ثمّ تلا هذه الآيه الكريمه:

(أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ ...)

و (شاهد ثان): أن الناس لما سمعوا كلام ابى بكر اصبحوا كأنما اخرجوا من مأزق أو اطلقوا ما عقال، فانهم تلقوا الآيه كلهم و راحوا يلهجون بها (فما تسمع بشرا من الناس إلا يتلوها). أما عمر فقد صعق الى الأرض و صدق

۱- (۱) و هو يبعد عن المسجد بميل واحد (و فى الروايه عن عائشه) و كذا فى معجم البلدان و لعله اعتمد على هذه الروايه. و لكن السنح هو عاليه من عوالى المدينه و أدنى العوالى بتقدير نفس المعجم يبعد أربعه أميال أو ثلاثه.

حينئذ بموت النبى بعد ان تحقق ان الآيه من القرآن، كما يقول.

***

لله ابوك يا ابن الخطاب! ما أدهشنى بك، و أنت و أنت، إذ تقف ذلك الموقف الرهيب حالفا مهددا، لتنكر أمرا واضحا، أ لم يعلمك الاسلام حقيقه محمد فتنكر انه يموت ؟ ثمّ تسمى مدعى موته (مرجفا)؟

لا؟

لا؟ و لكنك تحاول ان تقنع الناس انه غاب كموسى بن عمران، فيرجع ليقطع الأيدى و الأرجل. إلا انه بالله عليك أيه غيبه هذه ؟

و أنت أعجب و أعجب حين تسرع مصدقا و تنقاد طائعا لقول قاله ابو بكر لا يكذبك و لا يصدقك، بعد ذلك التوعيد و التهديد. أ و لست أنت كنت تعترف انه يموت بعد ان يظهر دينه على الدين كله ؟ فأى دليل كان فى الآيه ناقض قولك فأقنعك حتى صعقت الى الأرض. و الآيه تدل على انه يموت يوم مات!...؟

و اعجب من ذلك وقوفك بعد يوم معتذرا فتقول: (فانى قلت بالأمس مقاله ما كانت إلا عن رأيى و ما وجدتها فى كتاب الله و لا كانت عهدا عهده الى رسول الله. و لكن كنت

ارجو ان يعيش رسول الله فيدبرنا و يكون آخرنا موتا)(1). فأين هذا الرجاء الفاتر من تلك الصرخه المعلنه و ذلك الحلف و التهديد و طعن القائل بموته بالارجاف ؟ و اين هذا الاعتذار الهادئ من تلك الدعوى الثائره ؟

إن لك لسرا عظيما!

يبدو لى ان عمر كان أبعد من أن يظهر بهذه السهوله لقارئى هذه الحادثه. و من البعيد جدا و فوق البعد ان يعتقد مثله ان النبى لا يموت يوم مات، و هو الذى قال فى مرضه كما سبق بكل رباطه جأش: (ان النبى قد غلبه الوجع... حسبنا كتاب الله). فأى معنى تراه لقوله (حسبنا) لرد الكتاب الذى أراده النبى لأمته بعد موته، لو لم يكن معتقدا انه سيموت و ان كتاب الله يغنى عن أى شىء آخر يريد ان يقرنه النبى به.

و هل تراه قال ما قال دهشه بالمصيبه ؟ فما باله لم يعتذر بذلك بعد يوم و قد سمعت اعتذاره! بل ما باله لم يزد دهشه

۱- (۱) اقتبسنا مجموع هذه العباره من كنز العمال (۱۲۹:۳ و ۵۳:۴) و من تاريخ الطبرى و ابن الأثير و البخارى (۱۵۲:۴) و السيره الدخلانيه (۳۴۷:۲) و لفظ (كنت أرجو ان يعيش...) فى الصحيح و السيره. و المروى فى هذه الكتب و غيرها بألفاظ متقاربه جداً و تختلف بما لا يضر بالمعنى.

لما تحقق انه قد مات! هيهات ان يكون قد دهش فيخفى عليه موت النبى و هو هو من نعرف.

و بعض الناس قـد جهّلوا عمر بهـذا و ابعـدوا، فقالوا: من يجهل مثل هـذا الأمر الواضح المعلوم بالاضـطرار جدير بألا يكون إماما راعيا للأمه...

و التجأ بعضهم الآخر ان يعتذر عنه بأن ذلك من فرط دهشته.

و فيما عندى ان الطرفين لم يعرفاه حق عرفانه و لم يصلا الى غوره و تدبيره فى هذا الحادث المدهش. فان من يعتقد ان النبى قد غاب فيحلف لا يقنعه مثل حجه ابى بكر فيرتدع و من خبل بالمصيبه فهو عند اليقين بها ادهش و ادهش.

***

و يكفى المتدبر فى مجموع نقاط هذه الحادثه ان يفهم هذا الذى لا يختل بالحرش، فيعرف ان وراء الاكمه ما وراءها، و لا يضعه حيث وضعه الناس.

أ لا تعتقـد معى انه كان يخشـى ان يحـدث القوم ما لا يريـد، و قـد اشـرأبت الأعناق بطبيعه الحال الى من سـيخلف النبى، و هذه ساعه طائشه، و ابو بكر بالسنح غائب، و هو خدنه و ساعده، و هما اينما كانا هما. و لعلهما

وحدهما قد تفاهما فی هذا الأمر... فأراد ان یصرف القوم عما هم فیه، و یحول تفکیرهم الی ناحیه اخری، ان لم یجعلهم یعتقدون غیاب النبی. حتی لا یحدثوا بیعه لأحد من الناس قبل وصول صاحبه. و لیس هناک من تحوم حوله الأفکار إلا علیا للنص علیه کما نعتقد او لأنه اولی الناس، ما شئت فقل (حتی کان عامه المهاجرین و جل الأنصار لا یشکون ان علیا هو صاحب الأمر بعد رسول الله)(۱).

و کانوا یلاحظون فی علی بن ابی طالب صغر سنّه(۲) و حسد العرب و قریش خاصه إیاه، و تمالؤها علیه، و لا تعصب الدماء التی اراقها الاسلام إلا به، لأنه الأمثل، فی عشیره الرسول علی عاده العرب و بسیفه قتل اکثر ابطالهم.

و یلاحظون (رابعا) کراهه قریش لاجتماع النبوه و الخلافه فی بنی هاشم فیبجحون علی قومهم بجحا بجحا کما یراه عمر فیما سبق فی الفصل الثانی من محاورته مع ابن عباس. و یلاحظون (خامسا) انه سیحملهم إذا ولی الأمر علی الحق الأبلج و المحجه البیضاء و ان کرهوا (علی حد تعبیر عمر نفسه)، و الحق مر فی الأذواق.

و یظهر أن عمر کان بطل المعارضه فی إماره علی کما

۱- (۱) شرح النهج لابن أبی الحدید (۸:۲).

۲- (۲) راجع الامامه و السیاسه.

شاهـدنا موقفه فی قصه الکتـاب الـذی أراد ان یکتبه النبی و فی مواقفه التی أشـرنا الیهـا فی الفصـل الثـانی، فلا نعجب إذا رأیناه یقف هذا الموقف لیلهی الناس عما یخشاه من استباق احد الی بیعه علی قبل مجیء ابی بکر.

اما انه هل کان یدری کیف سیخرج من هذا المأزق الذی ادخل نفسه فیه فاغلب الظن انه غامر بنفسه لیقف الناس عند حدهم. و علی صاحبه إذا جاء ان یدبر الأمر حینئذ.

و اقوی الشواهد علی هذا التعلیل ما قلناه من سرعه قناعته بقول صاحبه ابی بکر، و هو لا یمس دعواه تکذیبا... و لیس إلا ان جاء ابـو بکر و وقف خطیبـا و التف حوله النـاس و هو یعلم من ابو بکر فقـد انتهت مهمته و انقلب الـدور، و لم یبق إلاـ ان یخرج من موقفه الحرج بلباقه، لئلا یحسوا بهذا التدبیر فینتقض الغرض، فصـعق الی الأرض کأنما تحقق موت النبی من جدید مظهرا القناعه بقول صـاحبه. ثمّ لم یلبث ان راح یشـتد معه لعملهمـا کأنمـا نشـط من عقـال و لم یقل ما قال، و لم یظهر ما أظهر من الـدهشه و الاضـطراب، حتی رُمی بالخبل و هو عنه بعید، فقد ذهب بعد ذلک الی السقیفه مع ابی بکر حینما علما باجتماع الأنصار السری و وقفا ذلک الموقف العجیب، و سنحدثک:

ص:۱۱۹

۵ وصول النبأ باجتماع الأنصار

لم يهدنا التأريخ الى أن أبا بكر و عمر أى شىء صنعا مباشره بعد حادثه انكار موت النبى و اجتماعهما، و اين كانا قبل ذهابهما الى السقيفه فهل دخلا الى دار النبى معا و الباب مغلق دون الناس، او انهما وقفا على الباب، او ان ابا بكر وحده دخل الدار؟ كل واحد من هذه الاحتمالات يستشعر فيه حدث و جائز وقوعها جميعا.

و لكن مثلهما جدير به إلا يبارح دار النبى (صلى الله عليه و آله) فى مثل هذه الساعه، و إذا كان شىء يحدث فانما يحدث هاهنا، و محوره هذا المشغول بجهاز النبى (على بن ابى طالب)، و من كان يتهم ان الأنصار تستبد بهذا الأمر على آل البيت و المهاجرين و تطمع فيه دونهم فتبادر إلى اجتماعها معرضه عمن لهم شأن لا ينكر فى هذا الأمر.

و اغلب الظن انه لم يطل الزمن على وصولهما الى الدار حتى جاء اثنان من الأوس مسرعين الى دار النبى، و هما(۱) معن بن عدى و عويم بن ساعده، و كان بينهما و بين

۱- (۱) ذكر ذلك فى العقد الفريد (۶۳:۳) و فى الجزء الثانى من شرح النهج و لم نر غيرهما يصرح باسم الشخص المخبر. و لكن عمر بن الخطاب نفسه يحدثنا أنه صادفهما فى ذهابها الى السقيفه، فأشار عليهم بالرجوع ليقضوا أمرهم بينهم. و احسب ان عمر أراد أن يحفظ لهما هذه اليد، فيكتم عليهما غايتهما هذه على قومهما دفاعا عنهما، لأن الأنصار اجتمعت بعد بيعه ابى بكر فى محفل فدعوهما و عيروهما بانطلاقهما الى المهاجرين واكبوا فعلهما فخطبا فردت عليهما الأنصار و أغلظوا و فحشوا عليهما و كل منهما قال شعرا: (راجع شرح النهج ۱۱:۲ نقلا عن كتاب الموفقيات للزبير بن بكار).

سعد الخزرجی المرشح للخلافه موجده قدیمه، فأخذ معن بید عمر بن الخطاب، و لکن عمر مشغول بأعظم امر، فلم یشأ ان یصغی الیه، لو لا ان یبدو علی معن الاهتمام إذ یقول له: (لا بد من قیام)، فأسر الیه باجتماع الأنصار ففزع اشد الفزع، و هو الآخر یصنع بأبی بکر ما صنع معن معه، فیسر الی ابی بکر بالأمر، و هو یفزع ایضا اشد الفزع. فذهبا یتقاودان مسرعین الی حیث مجتمع الأنصار، و تبعهما ابو عبیده بن الجراح، فتماشوا الی الأنصار ثلاثتهم(۱).

اما علی و أما من فی الدار و فی غیر الدار من بنی هاشم و باقی المهاجرین و المسلمین، فلم یعلموا بکل الذی حدث و بما عزم علیه ابو بکر و عمر.

و لما ذا؟ أ لم تکن هذه الفتنه التی فزعا لها اشد الفزع تعم

۱- (۱) الطبری (۲۰۸:۳).

جميع المسلمين بخيرها و شرها و أخص ما تخص عليا ثمّ بنى هاشم ؟ أو ليس من الجدير بهما ان يوقفاهم على جليه الأمر ليشاركوهما على اطفاء نار الفتنه الذى دعاهما الى الذهاب الى مجتمع الأنصار مسرعين ؟ ثمّ لما ذا يخص عمر ابا بكر دون الناس ثمّ أبا عبيده ؟

ليس من السهل الاحاطه بأسرار ذلك التكتم و هذا التخصيص، و هو موضوع بكر لم يقرع بابه الباحثون. و لكنا إذا علمنا ان الجماعه كانوا يلاحظون فى على تلك الامور التى ذكرناها فى البحث السابق فيحذرون ان يستبق الى بيعته مستبق، نجد منفذا الى خبايا هذا التكتم و نطمئن الى انهم رأوا الأصلح لهم ان يتداركوا الأمر بأنفسهم من دون ان يشيع الخبر و حينئذ يستطيعون ان يهيمنوا على الوضع و لا يقع ما يحذرون، إذ يكسبون على الأنصار اجتماعهم السرى فى جو هادئ ممن يتحمس لعلى. و هذا التخصيص من عمر يشجعنا على ان ندرك التفاهم السرى بينه و بين ابى بكر بل بينهما و بين ابى عبيده فى هذا الشأن بل بينهم و بين سالم مولى ابى حذيفه. و لذلك وجدنا عمر بى الخطاب يأسف عند الموت الا يكون واحد من هذين (ابى عبيده و سالم) حيا حتى يجعل الخلافه فيه من بعده، مع ان سالما ليس من قريش.

و إذا كانوا لم يلاحظوا فى على ما قلناه، فمن هو أجدر منه بالاخبار بهذا الأمر و من أجدر من قومه بنى هاشم، و على

ليس ذلك الرجل الذى يستهان بشأنه و يستصغر قدره حتى لا- يستشار و لا- يخبر بمثل هذا الأمر الخطير، و هو ان لم يكن منصوصا عليه بالخلافه فان مؤاخاه النبى له مرتين دون سائر الخلق و جعله منه بمنزله هارون من موسى و هو أحب الناس اليه و مولى كل من كان مولاه و ولى كل مؤمن بعده و وارثه و وصيه و يدور الحق معه كيفما دار... كل هذا و غيره ما شئت ان تحدث يجعل له المنزله الأولى فى هذا الشأن ليستشار على الأقل.

و لئن كان مشغولا عنهم بجهاز النبى (صلى الله عليه و آله) فجدير بأن يكون على خبر من ذلك ليكون ردا لهم عند حدوث ما يكره، و هم مقدمون على أمر عظيم، و على من لا- ينكر فى شجاعته و بطولته و ايمانه و تفانيه فى سبيل نصره الاسلام. و لكنه بالرغم من ذلك كله لم يعلم بالحادث إلا بعد ان سمع التكبير من المسجد عاليا، و قد فرغوا من اجتماع السقيفه و جاءوا بأبى بكر يبايعونه البيعه العامه.

و لست فى تعليلى هذا أدعى الاحاطه بأسرار هذا التكتم و إنما ذكرت ما يبدو لى عند البحث مقتنعا انه أهم أسراره و عسى ان يكون هناك من يستطيع ان يشبع الموضوع بحثا، فيزيدنا علما على علم أو يكشف لنا انا على جهل.

۶ تأثیر دخول المهاجرین فی اجتماع الأنصار

لنجیء الآن مع ابی بکر و عمر و ابی عبیده الی السقیفه، فنری الأنصار مجتمعین یتداولون الحدیث، و سعد بن عباده بینهم مزّمل وجع یخطب فیهم و قد ترأس حفلهم مرشحا للخلافه. و لا نشک ان الأنصار الآن فی لغط و حماس، قد اخذت الأنانیه و الفخر بأطرافهم معدین للوثبه عدتها، یریدون فی اجتماعهم السری هذا ان یقبضوا علی ناصیه هذا الامر العظیم، و لیس امامهم من یطاولهم.

و إذ یدخل علیهم وجوه المهاجرین فجأه لا بد ان یسقط ما فی أیدیهم بافتضاح امرهم قبل ابرامه، و بتخوفهم من خروجه من ایدیهم بعد ما قالوا و صنعوا. و لا بد ان یرتبکوا لذلک و یقوی فیهم شعور الخذلان. و قد عرفنا نفسیاتهم التی یتغلب علیها الضعف، فیتغیر علیهم مجری الحادثه. و هنا ینقلب الدور فیتهیئون لمواجهه هذا الحادث الجدید بما یقتضیه: فمن کان یبغض الاماره لسعد وجد الفرصه قد حانت للانتقاض علیه، و بالعکس اصحابه الذین یوادونه لا بد ان ینقلبوا مدافعین. و هذا أول تبدل فی حالهم و انخذال فی اجتماعهم.

و بعد دخول جماعه المهاجرین هذا الاجتماع و سؤالهم عن

هـذا المزمل من هو؟ و ما شأنه ؟ نرى عمر يذهب ليبتدئ النطق، و قد زور فى نفسه مقاله فى الطريق ليقولها بين يدى ابى بكر، و كان يخشـى جـد ابى بكر أو حـدته، و كان ذا جد كما يقول هو. و من الواضح ان الموقف دقيق جدا يدعو الى كثير من اللين و اللبـاقه رعـايه لهـذه العواطف الثـائره المتحفزه، و لكن ابـا بكر يمنع عمر من ابتـداء الكلام، و كأنه هو ايضا يرقب شـدته و غلظته المعروفتين فيه فانطلق يتكلم، و ما شىء كان زوره عمر إلا أتى به أو بأحسن منه على ما يحدثنا عمر نفسه.

و لقـد كان ابو بكر يحسن المعرفه بما يتطلب هذا الوضع من الرفق و السـياسه، أولا ترى لما كادوا ان يطئوا سـعدا قال قائل: قتلتم سعدا.. فقال عمر و هو مغضب: (اقتلوا سعداً قتله الله انه صاحب فتنه) فالتفت اليه ابو بكر قائلا: (مهلا يا عمر! الرفق هنا ابلغ).

و لا اعتقـد مع ذلك ان عمر كان يجهل ضـروره الموقف، و لكنى اخاله و قـد تمت البيعه لأبى بكر لم يجد حاجه لكثير من هذا اللين و المـداراه، و قـد أخـذ بموافقه الأنصار إلا القليل، و تحقق فشل سـعد و انخذاله. فهو اذن يعرف موضـعى اللين و الشده. و لعله و هو رجل الساعه بعد أبى بكر أراد ان يظهر بالغلظه لينطق ابا بكر بكلمه اللين.

۷ تأثیر خطب أبی بکر علی المجتمعین

من المتیقن ان الرجال الذین سادوا الأمم و الجماعات فأحسنوا سیادتهم هم من ابرع الناس فی علم الاجتماع و هم لا یشعرون. و إنما جبلوا علی معرفه فطریه تشحذها التجارب التی تخلق فی النفس الملکه علی تطبیق النظریات عند الحاجه. و ابو بکر و عمر هما من اولئک الناس الذین عرفوا خواص نفسیه الجماعات و کیف یمکن التأثیر علیها فی الوقت المناسب کما دلت الحوادث المتکرره علی ذلک.

و لا شک ان ممیزات الجماعه المقصوده لعلماء الاجتماع کانت متوفره ایضا هنا أتم من توفرها فی اجتماع المسجد غب موت النبی الذی أشرنا الیه سابقا: فقد کان الاجتماع حافلا التجأ فیه سعد بن عباده أن ینیب عنه ابنه أو بعض بنی عمه فی إلقاء کلامه، فیرفع به صوته لیسمع المجتمعین. و قد اجتمعوا لغرض واحد حساس اعنی تأمیر من یخلف ذلک النبی العظیم، لیکون علی رأس هذه الامه الکبیره القویه المستجده، و هم علی ما هم علیه من الحال التی وصفناها من التوثب و الشعور بالاستحقاق و التکتم.

و أظنک عرفت فی البحث الأسبق ان الاجتماع الذی یتألف علی هذا النحو کیف یطلع فیه قرن العاطفه و یأزر

رأس العقل و التفكير فی المجتمعين فيصبح عرضه للتقلبات و الانقلابات الفجائيه و يقوی فيه سلطان المحاكاه و التقليد الأعمی. بل تظهر عليه الأعراض المتناقضه، فبينا تجده قد يقوم بأعمال وحشيه جباره تدل علی شجاعه افراده البالغه حدها تجده مره اخری يجبن من الصفير. و بينا تراه يأتی بأعمال صبيانيه مضحكه تراه تاره اخری يحكم التدبير و التنظيم. و ما ذلك إلا من سجيه المحاكاه الموجوده فی كل انسان فتسود علی المجتمع عند ما يبطل حكم العقل و حينئذ يكون تابعا مسخرا لكل من يحسن تسخيره بالمؤثرات التی تهيمن علی العاطفه كالمنوم تنويما مغناطيسيا.

و نحن إذ فهمنا جيدا هذه البديهيات عن روحيه الجماعات، و لاحظنا توفر شروط الجماعه الاجتماعيه فی جماعه السقيفه، نفهم معنی تلك الأساليب التی اتبعها ابو بكر و صاحبه كما سنری للتأثير علی المجتمعين يومئذ و نفهم سر تأثر جماعه الأنصار و انقلابهم الفجائی علی انفسهم، فأخذ ابو بكر و عمر الأمر من أيديهم باختيارهم. علی انهما فی جنب قوه الأنصار و اعتزازهم بجمعهم تلك الساعه لا يعدان شيئا، و ليس من المهاجرين معهما إلا أبو عبيده بن الجراح كما سبق و سالم مولی أبی حذيفه علی روايه. فاسمع الآن الی الأساليب التی قلنا عنها:

لقد رأينا سابقا كيف حرش ابو بكر بين الأنصار، و أثار

عواطف الأوس على الخزرج. و قد صادف منهم نفوسا متهيئه الوثبه على سعد. حتى استمالهم الى جانبه و هم يشعرون أو لا يشعرون. فى حين انهم يعلمون ان الأمر إذا كان للأنصار و ان تولاه رئيس الخزرج فهو الى حيازتهم أقرب و إلى سلطانهم أدنى. و لكن للعاطفه هنا سلطانها القاهر على النفس لا يقف فى وجهها أى سور محكم من النطق و التفكير.

و لنفحص الآن (خطبته) التى واجههم بها فى أول الملاقاه و قال عنها عمر: (ما شىء كان زورته فى الطريق إلا اتى به أو بأحسن منه) فانه ذكر فيها اولاً ما للمهاجرين من فضل و سابقه فى الإسلام بأنهم أول من عبد الله فى الارض و آمن بالله و بالرسول و انهم اولياؤه و عشيرته و احق اناس بهذا الأمر (أى الخلافه) من بعده. و أن العرب لا تدين إلا لهذا الحى من قريش، و انهم لا ينازعهم فى ذلك إلا ظالم...! ثمّ خاطب الانصار فلم يغمط حقهم و سابقهم و جهادهم، لكن...

لكن من غير استحقاق لهذا الأمر، و إذا استحقوا شيئا فانما هى (الوزاره)... و لغيرهم... (الاماره)، فقال:

(... و أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلكم فى الدين و لا سابقتكم العظيمه فى الاسلام. رضيكم الله انصارا لدينه و لرسوله و جعل اليكم هجرته، و فيكم جله أزواجه

و أصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء و أنتم الوزراء)(۱).

و فی هـذا البیـان الشـیء المـدهش من اطفاء نار عواطفهم المتأججه ضـد المهاجرین، و اشـباع نهمه نفوسـهم الفخوره المتطاوله بفضلهم، و جهادهم و نصرتهم، و تقریبها الی المهاجرین للاعتراف بفضلهم علیهم، لأنه لیس اقوی علی تخدیر أعصاب الجماعه الهائجه من الذهاب مع تیار روحهم المندفعین بها، فأعطی لهم ما یسألون بلسان حالهم من الاعتراف بالفضل و الجهاد و کل فخر یشعرون به متطاولین.

حقاً لقـد صـدق و صدقوا، فان لهم الفضل الذی لا ینکر، و لکنهم أخطئوا بزعمهم ان لهم بذلک حق الاماره، و هنا نجد أبا بکر یریـد أن یحولهم عن هـذا الزعم، فیحـذر أن یخدش عواطفهم بما ینقص منزلتهم و یحط من مقامهم، فعدل عن التصـریح بکلمه الخطـأ أو مـا ینسـق علیهـا مـن معناهـا، و اتبـع اسـلوبا آخر مـن البیـان و انـه لمـن السـحر المـأثور فلم یزد علی کلمه: (فلیس بعد المهـاجرین الاـولین عنـدنا بمنزلتکم فنحن الاـمراء و أنتم الوزراء). و فیهـا تنبیه علی خطـأهم من طرف خفی من دون التجاء الی الکلمه التی بها تجرح عواطفهم و تثیر الحزازات مع الثناء علیهم فی نفس الوقت ثمّ اثبات الوزاره لهم

۱- (۱) الطبری (۲۰۸:۳).

و إذا أردت التدقيق فى هذه الكلمه ترى الشيء الأعجب: فهو الآن يريد أن يفضل المهاجرين الأولين (الأولين بالخصوص!) عليهم، ليثبت لهم استحقاق الخلافه، و لو كان وضعهما فى طرفين و فضل المهاجرين لأثار ذلك بحفيظتهم و حرش بين خصمين متطاولين من القديم، فعدل عن منطوق مقصوده و التاف اليهم من طريق تفضيل الأنصار أنفسهم على الناس و القى فى الطريق كلمه (بعد المهاجرين الأولين)، فتظاهر انه يريد ان يقول: ليس أحد بمنزله الأنصار. و أن مقصوده ليس غير، و إنما استثنى المهاجرين كأمر ثابت مقرر لا يتطرق اليه الشك و ليس محلا للنقاش لا لأنه المقصود فى البيان.

هنا إذ تهدأ تلك النفوس الجامحه فى الجماعه راضيه بما قيل فيها وفق شعورها تتفكك أوصالها و ترجع من حيث جاءت كأنما حصل لها كل ما تصبو اليه. و هذا من انحطاط نفسيه الجماعات، فلا تشعر بالنتيجه التى يراد أخذها منها و ان خالفت تفكيرها عند التأمل، لأن عاده الجماعه فى الأفكار ان تقبلها جمله أو تردها جمله، و لا طاقه لها على التأمل و التفكيك بين الأفكار و لا صبر لها على التمييز.

مضافا الى ان الوعد بجعلهم الوزراء لا يفتاتون بمشوره و لا تقضى الامراء دونهم الامور يطمئن من رغباتهم و اطماعهم، و يذهب بخوفهم من الاستبداد عليهم و أخذ الثأر منهم،

و يسدل على ما حاولوه ستارا كثيفا من النسيان. و بعباره أصح، يأخذ أثره الوقتى و تلهو الجماعه عن صدق الوفاء و لا تحتاج الى التدليل عليه، و لا يكلف قائله إلا الوعد و بهرجه الكلام.

و هناك كلمتان أخريان فى تلك العباره التى حللناها لا يفوتنا أن نتعرف اليهما و إلى ما فيهما من معنى أخاذ.

الاولى كلمه (الأولين) فأبعدهم بها عن شعور الخصومه الموجوده للمهاجرين عامه. و المهاجرين و الأنصار حزبان متطاولان و قد كان تنافسهما أمرا واضحا للعيان فى زمن الرسول و بعده حتى قال لهم النبى يوما: (ما بال دعوى اهل الجاهليه)، و ذلك عند ما قال الأنصارى: (يا للأنصار!) و قال المهاجرين: (يا للمهاجرين) فأقبل جمع من الجيشين و شهروا السلاح حتى كاد ان تكون فتنه عظيمه، فى قصه مشهوره(۱) فتجد ابا بكر بتخصيص المهاجرين بالأولين كيف اتقى شعور الأنصار بخصومتهم لعامه المهاجرين، و هم لا ينكرون ما للأولين من فضل و قد سبقوهم الى الاسلام و عباده الرحمن على انه بهذا التخصيص قرب نفسه و صاحبيه الى هذا الأمر.

الثانيه كلمه (عندنا) فانظر الى ما فيها من قوه

۱- (۱) راجع البخارى (۱۶۵:۲ و ۱۲۶:۳).

سحريه إذ رفع بهـا عن مقـام القرن المنـازع للأنصـار، و أخرجهـا عن الحزبين: الأنصـار و المهـاجرين، و نصب نفسه بهـا كحكم بينهما يفضل هـذا على ذاك ثمّ يختار لهم ما فيه الصـلاح. و هذا له الأثر البليغ فى اخماد نار عاطفه التعصب عليه، و يعطيه ايضـا منزله فى نفوسـهم هى أعلى و أرفع تجعل له نفوذ الحكم المسـتشار و الزعيم للفريقين و على العكس فيما لو نصب نفسه مزاحما لهم مطالبـا بحق يعود له و لحزبه. و شأن الجماهير انها لا تنتظر الـدليل على الـدعاوى البراقه المبهرجه. لأن التصوير و لو بالألفاظ له الحكم الفصل على نفسياتها.

فارجع الآن الى تلك العباره و دققها! و هى جعجعه تسـحن الجماعات من غير طحن، و إلا فمن المقصود بضـمير (عنـدنا) يتكلم عنه ابو بكر غير جماعه المهاجرين و هو منهم، و على تقـديره فمن الذى خوله ان يمثل المهاجرين بشـخصه ؟... و لكنه جرد من نفسه (و معه غيره) حكما مفضلا، عنده المهاجرين أفضل من الأنصار و ليس بمنزله الأنصار أحد بعدهم.

فلا نعجب بعد عرفاننا هذه الاساليب التى لها القوه السحريه على الجماعات ان يأخذ ابو بكر بناصيه الحال، و يستهوى المجتمعين لينظروا اليه بقلوبهم لا بعقولهم، فيصرفهم كيف يريد. فانتظر نتيجه تأثيره عليهم.

۸ نقاش المهاجرین و الأنصار

قرأنا فی الفصل السابق خطبه ابی بکر و ما فیها من الأسالیب فلنر مدی تأثیرها علی المجتمعین و کیف کانت النتیجه ؟:

لم یردّ علیه إلاـ الحباب بن المنذر فی کلامه المتقدم فی البحث رقم (۲) و قد رأیناه لم یأت بشیء و کان اول منخذل امام المهاجرین و إن ظهر بالقوه التی تلاشت فی آخر کلامه کما شرحناه، ففتح علی نفسه باب الحجه الظاهره إذ قال:

(فمنکم أمیر و منهم أمیر)، علی انه ظهر جلیا بمظهر المتعصب المغالب، فاستهل کلامه بقوله: (املکوا علیکم أمرکم....) و هذا مردود علیه معکوس الاثر، و سیأتی.

و هنا. جاء دور عمر بن الخطاب فقال: (هیهات! لا یجتمع اثنان فی قرن. و الله لا ترضی العرب ان یؤمروکم و نبیها من غیرکم، و لکن العرب لاـ تمتنع ان تولی أمرها من کانت النبوه فیهم و ولی امورهم منهم. و لنا بذلک من أبی من العرب الحجه الظاهره و السلطان المبین. من ذا ینازعنا سلطان محمد و إمارته و نحن اولیاؤه و عشیرته إلا مدل بباطل أو متجانف لا ثمّ أو متورط فی هلکه).

فتجد کلام عمر هذا و ان کان هادئاً لا یبلغ کلام ابی

بكر، إذ ظهر بمظهر الخصم المدعى بحق الاماره. و كأن ابا بكر فسح له المجال لأن يكون هو المدعى العام عن المهاجرين بعد ان نصب نفسه كحكم للمتنازعين. كما نلاحظ ايضا انه لم يشر الى قضيه النص على قريش أو على خصوص واحد منهم، و إنما القضيه قضيه رضى العرب و ابائها و ان المهاجرين اولياء محمد و عشيرته. و لذا قال على عليه السلام بعد ذلك: (احتجوا بالشجره و اضاعوا الثمره).

فقام الحباب بعد عمر فقال: (يا معشر الانصار املكوا عليكم امركم و لا تسمعوا مقاله هذا و اصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر، فان ابوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد، و تولوا عليهم هذه الامور، فأنتم و الله احق بهذا الامر منهم فانه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين. انا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب. انا شبل فى عرينه الأسد. اما و الله لو شئتم لنعيدنها جذعه. و الله لا يرد أحد على ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف).

و هذه عصبيه جاهليه و سوء قصد ظاهر. فقال له عمر: (إذاً يقتلك الله) فانتحى به الناحيه الدينيه إذ نسب القتل الى الله تعالى و لم يقل يقتلك الناس. و هذا اسلوب من الرد فيه التهديد و التنديد على تلك دعوى الجاهليه منه. فقال الحباب:

(بل إياك يقتل).

و هـذه مهـاتره يلتجـأ اليهـا ضـعف الحجه و شـده الغضب، فترى الحباب فى كل ذلك كان قلق الوضـين يرسل من غير سـدد، و تتضوع من فمه رائحه نفسه، و لا يعرف ان يسر حسوا فى ارتغاء. فاقتحم فى الميدان بجنان الفارس المدله المدل بقوته و نفسه، و من سـيفه و لسانه تنطف دعوى الجاهليه الاولى البشـعه فى الاسلام، تأباها عليه الصبغه الدينيه المصطبغ بها المجتمع يومئذ، و هو فى الـدرجه الاولى متأثر بالإسـلام و تعاليمه و للشـعور الـدينى الأول فى تأثر الجماعات الدينيه و انفعالاتها، فما لم يسـتخدم هذا الشـعور لا يرجى ان يحدث فى الجماعه التعصب الذى يجعل الانسان يرى سـعادته فى التضحيه بنفسه و بكل عزيز فداء للمقصد الذى يوجه اليه.

فالحبـاب ان تـولى الـدفاع عن سـعد و قـومه نصـره لهم فهو الـذى أفسـد عليهم أمرهم اكـثر من أى شـخص آخر من حيث يظن الصـلاح و بـدلا من ان يقود المجتمعين للغرض الـذى اجتمعوا لأجله قـد خسـرهم و اعطى القياده من حيث لا يشـعر لغيره الذى عرف كيف تؤكـل الكتف فى اسـتمالتهم و اسـتعمال نفوذه فيهم. و كـان اول ظهور هـذه الخسـاره قيـام ابن عمه بشـير بن سـعد الخزرجى، فنقض على الخزرج ما اجمعوا عليه فقال:

(يا معشر الأنصار انا و الله لئن كنا اولى فضيله فى جهاد

المشـركين و سابقه فى هذا الدين ما اردنا إلا رضـى ربنا و نبينا و الكدح لأنفسنا، فما ينبغى لنا ان نستطيل على الناس بذلك و لا نبتغى من الدنيا عرضا فان الله ولى المنه علينا بذلك. ألا إن محمداً من قريش و قومه أحق به و أولى.

و ايم الله لا يرانى الله انازعهم هذا الأمر ابداً فاتقوا الله و لا تخالفوهم و لا تنازعوهم).

انظر الى الشـعور الـدينى كيف أخذ بأطراف كرم هذا الرجل، متأثراً بدعوه ابى بكر و صاحبه، خارجا على قومه بل على نفسه، و كـان بعـد ذلك اول مبايع من القوم. و لا اعتقـد ان ذلك كله عن نفاسه لسـعد كما رماه به الحباب لما مـد يـده للبيعه فناداه: (يا بشير بن سعد عققت عقاق! ما أحوجك الى ما صنعت ؟ أنفست على ابن عمك الاماره!). فقال بشير:

(لا و الله و لكن كرهت ان انازع قوما حقاً جعله الله لهم).

بـل اعتقـد انه كـان صادقا بعض الصـدق أو كله فيما ادعاه عن نفسه فان سـير الحادثه كما وصـفناه يـدل دلاله واضـحه على تأثر الجماعه بكلام ابى بكر و انقيادها الى دعوته و لا سـيما بعد ما صدر من الحباب ما يبعد النفوس عن دعوه قومه. نعم! و إنما كان مبدأ ظهور ذلك التأثر فى بشير بن سعد، فيصح ان نجعله ممثلاً لشعور قومه تلك الساعه.

۹ المهاجرون یربحون الموقف

إن الحقیقه هی التی وصفناها لک. إن القوم قد تکهربوا بدعوه المهاجرین و تهیئوا لبیعه واحد منهم بالرغم من وجود التنافس بین الحزبین کما أشرنا الیه و صرح به ابو بکر فی خطبته التی تقدمت فی البحث (۳) إذ قال: (فقد جلس بین لحی اسد یقضمه المهاجری و یجرحه الأنصاری) و زاد فی تهیئهم هذا منافسه الأوس للخزرج و حسدهم لسعد. و طبیعی ان تنافس القریب اکثر أثراً من منافسه البعید مهما کانت.

و لذلک نری ابا بکر لما سمع مقاله بشیر لم یتأخر عن تقریر النتیجه من هذا النقاش، فلا بد انه علم بانقلاب الجمع تأثراً بدعوتهم کیف و هو قد هیمن علیهم و نومهم تنویماً مغناطیسیا، فیعرف کیف سخره و قاده فقدم للبیعه أحد الرجلین اللذین معه: عمر بن الخطاب و ابی عبیده الجراح، و قال: (قد رضیت لکم أحد هذین الرجلین فأیهما شئتم فبایعوا).

و قد جری فی هذا الکلام هنا علی نفس تلک الطریقه التی سلکها فی خطبته المتقدمه فی البحث (۷) من ترفعه عن مقام المعارضه، و تجریده من نفسه حکما للحزبین یختار لهما ما هو الصالح باجتهاده، فاختار لهم احد هذین الرجلین.

و لکن الجمهور کما قلنا ضعیف الرأی و الاختیار،

لا يعرف ان يختار و لا يعرف ان يعين ما يختار، و يبقى فى مثل هذا الحال منتظراً اشاره من سخره و نومه التنويم المغناطيسى أو لأى شخص آخر يفاجئه باراده قويه حازمه، فلو ان احداً من الحاضرين قام فبايع احداً منهما عمر أو أبا عبيده لبويع و انتهى كل شىء. و لو ان ابا بكر عين واحداً لما تأخروا عن بيعته، و لكن هذا الترديد بين الرجلين يظهر انه كان مقصوداً تمهيداً لإرجاع الأمر اليه، و لعله عن تفاهم سابق و اتفاق بين الثلاثه ليتعاقبوا هذا الأمر. و لذلك تمنى عمر عند الموت ان يكون ابو عبيده حيا ليعهد اليه.

اما هما فقد أبيا عليه و قال عمر: (لا و الله لا نتولى الأمر عليك ابسط يدك نبايعك!) قال هذا القول و لم يترك فرصه تستغل للرد و الحجاج، فحقق القول بالعمل، و أقدم باراده جازمه لا تعرف التردد يتطلبها الموقف الدقيق، فذهب ليبايع ابا بكر، و لم يتمنع ابو بكر فمد يده، و لكن بشير بن سعد هذا الذى تقدمت خطبته سابق عمر بن الخطاب اليها فوضع يده بين يديهما مبايعا، كأنما اراد بذلك ان يحرز الفضيله فى السبق أو ليبرهن على اخلاصه للمهاجرين، بل هذا من اندفاعات الجمهور المدهشه بنتيجه انفعالهم بالمؤثرات التى تطرأ عليهم.

و هو من ابلغ الشواهد على ما قلنا من تكهرب نفوس جمهور السقيفه بتلك المؤثرات التى استعملها ابو بكر بتلك

الحذاقه و اللباقه، فان لبعض الألفاظ و الجمل سلطاناً لا يضعفه العقل و لا يؤثر فيه الدليل. الفاظ و جمل يفوه بها الخطيب خاشعاً امام الجمهور، فلا تكاد تخرج من فيه حتى تعلو الوجوه هيبتها و تعنو القلوب لها احتراما كأن فيها قوه إلهيه أو موجه سحريه، فتثير تاره فى النفوس أشد الصواعق من الغضب، و تسكنها تاره إذا جاشت فتمزق اشلاءها و تقودها الى حيث يريد المتكلم راضيه قانعه(۱).

و يظهر ان عمر ايضا أدرك حقيقه الموقف و كيف قد ربحه المهاجرين فلم يبق إلا أن يصدر أحدهم. الحكم الفاصل فى تعيين من يبايع منهم، فأقدم على بيعه ابى بكر كما رأينا ه غير متردد و لا متخوف و لا مستشير، و مد يده مسرعا. و إلا فان الأمر أعظم من أن يتم بهذه السرعه و السهوله التى كانت: باقدام شخص واحد يعقد البيعه لشخص آخر الظاهر ظهور الشمس انه صاحبه المنحاز اليه فى وقت هو احد ثلاثه أو أربعه من الحزب المعارض لقوم فى عقر دارهم معتزين بقوتهم يريدون أن يملكوا أعظم سلطان لأعظم امه، و هو لم يأخذ رأيهم و تصديقهم على ما أراد(۲)

۱- (۱) راجع كتاب (روح الاجتماع) المعرب لغستاف لبون ص ۱۱۳.

۲- (۲) على انه قال بعد ذلك فى خلافته: (فمن بايع اميراً من غير مشوره المسلمين فلا بيعه له و لا بيعه للذى بايعه تغره يقتلا) راجع كنز العمال الجزء الثالث رقم الحديث ۲۳۲۳.

و إنما اقدم كأن الأمر لا يدور إلا بينه و بين ابى بكر كأمر ثابت لا شك فيه. و هذه مغامره خطيره لها ما بعدها، و لم تكن منه إلا لأنه أدرک نضج القوم و تهيئهم لبيعه أحد المهاجرين.

و لذلک لم نجد معارضه من القوم، بل الأوس ذهبت جميعها مسرعه للبيعه من غير تردد و لا تلكؤ يقدمها أسيد بن حضير بعد ان قالت ما قالت كما تقدم فى البحث (۳). ثمّ تبعهم جميع الأنصار ما عدا سعداً و من كان شديد التعصب له كإبنه قيس و الحباب. و لا شک ان للعدوى أثرها الفعال فى الجماعات فتسرى سريان النار فى الهشيم، او تيار الكهرباء فى سلكه، فقد وجدنا كيف كان هلعهم فى تزاحمهم على البيعه و تسابقهم اليها، كأنما تفوت دونها الفرصه، فأقبلوا من كل جانب يبايعون ابا بكر، حتى ازدحموا على سعد بن عباده السيد المطاع فى الخزرج بل الأنصار كلهم، هذا الزعيم الذى كان قبل ساعه مرشحا للبيعه خليفه للنبى و أميراً على جميع المسلمين، و كادوا يطئونه فيقتلونه و هو مزمل وجع، فحمل الى داره صفر اليدين.

و هذا ألطف شىء فى تناقض أفعال الجمهور و عدم ثباته و تطرفه فى اعماله و آرائه و شده نزقه، فانه لا يعرف الحلم و الصبر و لا قمع النفس عن الاسترسال فى نزعاتها، و لا المحافظه على الآداب العامه المصطلح عليها، و هو مع ذلک كثير النسيان لأحواله السابقه.

أما الحباب و لا ينبغى أن ننساه لما رأى اقبال الناس على البيعه انتضى سيفه، فحامله عمر فضرب يده، فندر السيف، فأخذ منه. فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعه، و لكن من المعلوم أنه لم يصنع شيئا و لم يستطع رد جماح أى شخص من قومه حتى تمت البيعه مرغما، و صدق فيه و فى قومه المثل المشهور (ربّ ساعٍ لقاعد). وليتنى أراه فى تلك الساعه كيف كان حاله فتزبد شدقاه و يتميز غيظا و يعض على أنامله و قد ملكت حواسه سوره الغضب، و ما ذا كان يقول لقومه و لنفسه بعد ذلك الذى مضى منه من التهديد و الوعيد ثمّ ذهب هباء و خار ضعفا؟ لا شك انه لو كان من ابناء هذه المدينه الحديثه متشبعا بعاداتها، لكان هو على مثل هذه الحال ضحيه الانتحار ليتخلص من شنارها و يستر عارها.

١٠ – النتيجه

نستنتج من سير الحادثه ان طريقه بيعه ابى بكر لم تكن طريقه اختيار بالمعنى الصحيح(١) و يحقق معنى أنها كانت (فلته) وقى الله شرها على حد تعبير عمر بن الخطاب.

١- (١) فنصدق كلمه الاستاذ محمد فريد أبى حديد فى مقاله (نظره فى نظام بيعه الخلفاء) المنشور فى مجله الرساله المصريه العدد ١٠.

و قد رأينا السرعه التى جرت بالحادث لم تبق مجالا للمفكر ان يشحذ فكره و لا للمعارض ان يقيم حجته، فكانت مفاجأه فى مفاجأه. مع ان العاطفه العدائيه عند الأوس المهيجه من ابى بكر كان لها الأثر الفعال فى تقريب النتيجه، و ساعدها بل اشعل أوارها ان المجتمعين انطبعت فيهم اوصاف الجماعه الاجتماعيه، مما يذهب عنهم صحه الاختيار و الحكم.

فلا بدع إذا لم يثق الباحث المفكر باختيار جماعه السقيفه، و لا يغتر به دليلا على صحه هذه الطريقه من البيعه فى الاسلام. و قد أشرنا فى الفصل الأول الى ان عمر نفسه قال عنها: (فمن دعا الى مثلها فهو الذى لا بيعه له و لا لمن بايعه).

و لا غرابه ايضا إذا لم يدافع احد عن النص على على بن ابى طالب، و قد اندفع المجتمعون بتيار جارف لا يقف فى سبيله شىء، و نحن نعرف رأى المهيمنين على الاجتماع فى على، و هم يبعدون ان يتم له شىء من ذلك. أ فتراهم يدعون اليه فى هذا المجتمع الذى اسس على الأعراض عن النص فيه، و إذا قال بعد ذلك بعض الأنصار أو كلهم (لا نبايع إلا عليا) كما سبق فقد قلنا ان ذلك بعد خراب البصره، فان هذا الجمهور اصبح لا يملك اختياره و تفكيره و شعوره بواجبه الدينى لما قلناه من تكهربه بتيار تلك القوه السحريه

قوه الاجتماع التی تجعل اعماله اعمالاً لا شعوریه، علی ان اساس الاجتماع ارتکز علی طمع الأنصار من جهه تخوفهم من جهه اخری (علی ما شرحناه فیما تقدم). و هذان لم یترکاهم یفکرون فی واجبهم الدینی فبعد أن افحموا و غلبوا و اندفعوا مع الغالبین، و تلک هی فطره البشر.

و یشهد علی ما نحسه من الضعف الدینی فی تلک الأحکام العاجله و القرارات الخاطفه فی اجتماع السقیفه، انه مما تقرر فی تلک النهزه أمران عامان:

۱ ان الأنصار لا حق لهم فی هذا الأمر.

۲ انهم الوزراء لمن کانت له الاماره.

مع ان الأول شک فیه ابو بکر نفسه بعد ذلک إذ تمنی فیما تمنی لو سأل النبی عنه، و الثانی هذا المنصب المزعوم وزاره الخلیفه لم یعط لأحد منهم لا فی عهد ابی بکر و لا بعده، بل هذا المنصب لم یحدث لأحد إلا فی عهد العباسیین.

و بهذه النتیجه التی حصلنا علیها من سیر حوادث السقیفه و ملابساتها یسهل علینا ان نفسر بها الآیه الکریمه (أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ ...) . فان الاجتماع کان علی کل حال انقلابا علی الأعقاب حتی لو لم نؤمن بالنص من قبل النبی صلی الله علیه و آله و سلم علی من سیکون خلیفه من بعده، لأن الاجتماع کما قلنا من اصله کان افتیاتاً علی المسلمین و لم

یکن مستندا الی قاعده اسلامیه أو تصریح من الرسول. و کذلک ما قرره الاجتماع لم یکن إلا قراراً خاطفا تحکمت فیه العواطف فی المبدأ و المنتهی، و لیس فیه مجال الرجوع الی النص. و إلی هنا نستطیع ان نرجع الی ما قلناه فی التمهید انه کیف تفسر الآیه بحوادث السقیفه و أرجو من القارئ ان یرجع من جدید الی بحث السقیفه لیأخذ بأطراف الموضوع علی ضوء هذه النتیجه.

و من نفس الحادثه نستطیع ایضا ان نؤید النص علی الامام علی علیه السلام، لأن ما ورد فیه من تلک النصوص لو لم تکن لتعیینه خلیفه و کانت لمجرد الثناء و بیان فضله و لم یکن الاجتماع لاستغلال الفرصه لمخالفه النص و کان اجتماعا طبیعیا شرعیا لو لم یکن کل ذلک لوجب أن یکون هذا الرجل الذی هو من النبی بمنزله هارون من موسی فی مقدمه المجتمعین و علی رأسهم و معه أهل بیته و لما کان ینعقد الاجتماع و لا یقرر فیه شیء من دون مشورته و موافقته و لکن کما سبق کل ذلک لم یقع. بل الحادثه من مبدأها الی منتهاها اخذت علی أن تقع علی غفله منه و من بنی هاشم الی آخر لحظه منها و اهمل شأنها و کأنهم لم یکونوا من المسلمین أو لم یکونوا من الحاضرین إلا بعد أن تم کل شیء.

الفصل الرابع: عَلی مَع الخلفاء..

اشاره

ص:۱۴۵

(۱ – الافتیات علی الامام)

لا یشک التأریخ ان علیاً علیه السلام کما قدمنا لم یکن علی علم من اجتماع الأنصار فی سقیفتهم، حتی بعد ذهاب الثلاثه من حزب المهاجرین متکتمین، و هم ابو بکر و عمر إذ ذهبا یتقاودان علی حد تعبیر الطبری فی تاریخه و تبعهما ابو عبیده. بل لم یعلم الامام بما تم فی السقیفه إلا بعد خروجهم الی المسجد فی ضجیجهم (و فی مقدمتهم عمر بن الخطاب و بیده عسیب نخل و هو محتجز یحث الناس علی البیعه)، فبلغه تکبیرهم، و هو مشغول لا یزال فی جهاز النبی. و لم یخرج الیهم إلا فی الیوم الثانی.

و اول شیء یبدو دلیلاً علی افتیات القوم علیه بالمشوره، و هم یشعرون بأنهم فی مقام الخصومیه له انهم لم یخبروه بحادث اجتماع الأنصار عند ما أسر عمر الی ابی بکر و هو فی بیت الرسول بالخبر، و هما ایضا لم یخبرا احدا غیر ابی عبیده الذی تبعهما وحده حیث الاجتماع السری، مع ان مثل الامام اولی الناس بتدارک هذا الموقف الدقیق ان کان فی اجتماع الأنصار خطر علی الاسلام أو فتنه، و الامور جاریه علی ظواهرها الطبیعیه بین الامام و بین هذه الجماعه. ثمّ الأغرب انهم لم یدعوه للمشاوره بل حتی للبیعه قبل أن یتم کل شیء ینتظر لبیعه ابی بکر. و لا ینتهی التساؤل عما إذا

ینبغی ان یرسلوا الیه من یخبره بالأمر علی الأقل! اما کانوا علی حسن نیه معه او ثقه بموافقته لهم و رضاه ؟

نعم! لقد وجدناهم قد قضوا أمرهم بینهم، ودعوا الناس الی البیعه اشتاتا و مجتمعین، مستشعرین الکفاح و الخصومه بل الخوف امام حزب علی. و لذا انتهزوا فرصه انشغاله و انشغال اصحابه و بنی هاشم بجهاز سیدهم. و یشهد لهذا قول الطبری فی تأریخه: (و جاءت اسلم فبایعت فقوی بهم جانب أبی بکر و بایعه الناس)، تأمل کلمه (فقوی بهم جانب أبی بکر)، لتفهم ان هناک جانبین متخاصمین یقوی احدهما و یضعف الآخر، و لیس المراد بالجانب الآخر الأنصار لأنهم قد بایعوا فی السقیفه و لم یبق إلا سعد بن عباده و ابنه، و لیس له کبیر اهتمام و قد اهملت بیعته حسب اشاره بعض ابناء عمه.

أما علی فقد قلنا انه جاءه الخبر عفواً لما سمع تکبیر القوم فی المسجد و هو حول النبی مشغول بجهازه. و لما بلغته حجتهم علی الأنصار لم یکتم نقدها، فقال کما فی نهج البلاغه: (احتجوا بالشجره و أضاعوا الثمره).

۲ رأیه فی بیعه السقیفه

قلنا فی آخر الفصل الأول انه لما ذا لم یطالب الامام

صراحه بالنص عليه بالخلافه، و هنا نقول: انه مع ذلك لم يكتم رأيه فى بيعه السقيفه، فان التأريخ لا يشك، عند من ينظر اليه نظره فحص و تمحيص، أنه كان ناقما على ما اسرعوا اليه من بيعه ابى بكر، و كان يعدها غضبا لحقه، فلم يلاق الحادث إلا بالاستغراب و الاستنكار كما يبدو من كلمته السابقه التى قرأتها أخيرا، و من كلمات كثيره منبثه فى نهج البلاغه و غيره و أهمها الخطبه الشقشقيه. و أقل ما يقال فى انكاره تخلفه عن البيعه حتى ماتت فاطمه الزهراء عليها السلام.

على ان من الظلم نقول: ان الامام تخلف عن البيعه، و هو صاحب الأمر الذى يجب أن يؤتى اليه، و إنما الحق أن نقول: إن الناس هم الذين تخلفوا عنه.

و أول اعلان له عن رأيه كان عند خروجه فى اليوم الثانى من السقيفه بعد البيعه العامه كما فى مروج الذهب فقال لأبى بكر: (أفسدت علينا أمرنا و لم تستشر و لم ترع لنا حقا). و هذا القول صرخه فى وجه الاستئثار عليه، و تصريح بعدم الرضى بما تم، و ليس على ممن يداجى أو يخاتل و لا ممن تأخذه فى الله لومه لائم. و لذلك هم كانوا يفرون من التحرش به قبل تمام البيعه خوف اعلان خصومتهم، فنرى ابا بكر فى جواب كلامه السابق يعترف له و يقول: (بلى! و لكن خشيت الفتنه).

و يسكت التأريخ عن ذكر جواب الامام، أ فتراه اقتنع

بكلمه ابى بكر أو أغضى عن جوابها أو التأريخ أهمل الجواب. و لكن عليا نفسه يقول من خطبه له عن هذه الحادثه: (فلما قرعته بالحجه فى الملأ الحاضرين هب كأنه لا يدرى ما يجيبنى به).

و لئن فرض انه سكت هذه المره فانه لم يترك الدعوه الى نفسه و استنكار حادث السقيفه، و ان بايع بعد ذلك فلم يبايع عن طيبه خاطر و اطمئنان الى الوضع، و هو الذى يقول بالصراحه فى الشقشقيه: (فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجا أرى تراثى نهبا).

ثمّ التأريخ يحدثنا انه لم يبايع إلا بعد أن صرفت عنه وجوه الناس بموت فاطمه الزهراء. و كم تذمر و تظلم من دفعه عن حقه مثل قوله من كلام له فى النهج: (فوالله ما زلت مدفوعا عن حقى مستأثرا على منذ قبض نبيه صلى الله عليه و آله و سلم حتى يوم الناس هذا) و يشير بهذا اليوم الى عصره فى خلافته.

***

هذا هو الصريح الواضح من رأى الامام فى بيعه السقيفه و ما وقع بعدها. و يكفى النظر فى الشقشقيه وحدها، غير ان التأريخ قد يحاول ان يكتم هذه الصراحه، لأنه لا ينكر على كل حال ان علياً مع الحق و الحق مع على، فلا

يمكنه ان يتهمه بالحيده عن طريق الحق إذا اعترف بهذا الرأى منه، و هو أعنى التأريخ يريد ان يصحح ما وقع يوم السقيفه الذى لا يصح من دون رضى صاحب الحق و موافقته، فيركن الى المداوره.

و لكن فى الحقيقه لا بد ان تتم على نفسها، فانه جاء فى صحيحى البخارى و مسلم عدا كتب التأريخ و السير ما لا يخرج عن هذا القول: (ان وجوه الناس كانت اليه و فاطمه باقيه فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه و خرج من بيته فبايع ابا بكر و كانت مده بقائها بعد أبيها سته أشهر).

و جاء ما هو أصرح من كل ذلك فى جوابه لكتاب لمعاويه، إذ يتهمه معاويه بالبغى على الخلفاء و الابطاء عنهم و كراهيه أمرهم، فيقول الامام منكراً لبعض التهم و معترفا بالبعض الآخر: (فأما البغى فمعاذ الله أن يكون و أما الابطاء و الكراهيه لأمرهم فلست اعتذر الى الناس فى ذلك)(1).

---

٣ الموقف الدقيق

يظهر للمتتبع ان الامام كان يرى عطفاً على رأيه السابق وجوب مناهضه القوم حتى يأخذ حقه منهم.

١- (١) راجع شرح النهج (٣:٤٠٩).

و يستشعر ذلک من سيرته معهم و من كثير من أقواله التى منها قوله فى الشقشقيه عن حربه لأهل الجمل و معاويه:

(أما و الـذى فلق الحبه و برأ النسـمه لو لا حضور الحاضـر و قيام الحجه بوجود الناصـر، و ما أخـذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظه ظالم و لا سغب مظلوم؛ لألقيت حبلها على غاربها و لسقيت أخرها بكأس أولها).

فانظر الى موقع كلمته: (لسـقيت آخرها بكأس أولها)، فانه يريـد أن يقول: ان زهـدى بالـدنيا يـدعو الى أن أترک حقى فى المره الأـخيره كمـا تركته فى المره الاـولى، و لكن الفرق كبير بين الحـالين: ففى الاولى لم تقم على الحجه فى القتال لفقـدان الناصـر دون هـذه المره، فلا يسـعنى ان اعرض عنها هـذه المره و اسـقيها بالكأس الذى سـقيت به اولها يوم طويت عنها كشـحا و صبرت على القذى.

و أصرح من ذلک ما كان يقوله: (لو وجدت اربعين ذوى عزم منهم لناهضت القوم) و هذا ما عده معاويه من ذنوبه، و ذلک فيما كتب اليه من قوله: (فمهما نسيت فلا أنسى قولک لأبى سفيان لما حرككَ و هيجک لو وجدت اربعين ذوى عزم منهم لناهضت القوم، فما يوم المسلمين منک بواحد)، و لم ينكر امير المؤمنين عليه السلام هذا القول فى جوابه على هذا الكتاب.

و فى التاريخ مقتطفات تؤيد ذلک، كما فى تأريخ

اليعقوبى: إن اصحابه الذين كانوا يجتمعون اليه طالبوه بمناهضه القوم و تعهدوا بالنصره، و كأنهم ظنوا ان قد بلغوا العدد المطلوب (۴۰ ذوى عزم) فقال لهم: اغدوا على هذا محلقى الرءوس، و هو إنما يريد ان يريهم انهم لم يبلغوا المنزله التى تقام بها الحجه، فلم يعد عليه إلا ثلاثه نفر.

و إذا كان هذا رأيه فى المناهضه للقوم يبلغ يا سبحان الله هذه الشده و الصرامه فما ذا تراه صانعا؟ لنتركه الآن يحدثنا هو عن نفسه و موقفه الدقيق، إذ يقول من الشقشقيه: (و طفقت ارتئى بين أن أصول بيد جذاء أو اصبر على طخيه عمياء يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير و يكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه). ثمّ يبين لنا كيف ان يده جذاء من خطبه ثانيه (نظرت فاذا ليس لى معين إلا أهل بيتى فضننت بهم على الموت).

فهو إذن بين امرين لا ثالث لهما: اما المغامره بما عنده من اهل بيته، و أما الرضوخ للأمر الواقع، اما الحاله الاولى ففيها خطر على الاسلام لا يتدارك فإنه إذا قتل هو و آل بيته ارتفع الثقل الثانى من الأرض (عتره الرسول) و افترق عن عديله القرآن الكريم و هناك الضلاله التى لا هدايه معها، و قد قال النبى: (لا تضلوا ما ان تمسكتم بهما ابداً) أو (لن يفترقا حتى يردا على الحوض) و أما الحاله الثانيه فان فى الصبر على هضم حقوقه اضاعه لوصيه النبى، و تعطيل لنصبه اياه اماماً و خليفه من بعده.

فأى الأمرين هو اولى بالرعايه لحفظ بيضه الاسلام ؟

و أنى لنا ان نتحكم فى ترجيح أحد الأمرين، و نعرف الامام واجبه فى هذا الأمر؟!

و ما بالنا نـذهب بعيـداً، فانا نعرف ما صـنع الامام، انه استسـلم للقوم و بايع كما بايع الناس بالأخير، و قد قرر الرأى الأخير بعد ان طفق يرتئى بين ان يصول بيـد جـذاء أو يصبر على طخيه عميـاء عنـد ما قال: (فرأيت الصبر على هاتا احجى) فسـدل دونها حينئذ ثوباً و طوى عنها كشحاً.

على انه لا يضـيع وجه الرأى على الناظر فى هذا الأمر ليعرف كيف كان الصبر أحجى، لأنه لو نهض فى وجه القوم مع قله الناصر و حسـد العرب له وترات قريش عنـده، لكان المغلوب على أمره، و عندئذ يصـبح نسـياً منسـيا، و لربما لا يحفظه التأريخ إلا باغياً بغى على الدين كأولئك اصـحاب الرده، فقتل (بسـيف الاسـلام) و اضيع مع ذلك النص على خلافته. و قد رأيناه مع بقائه حيا و انتهاء الأمر اليه بعد ذلك كيف غمط حقه و أعلن سبه و بقى الشك فيه الى يوم الناس هذا

و قـد أشار الى ذلك فى كلامه لعمه العباس و ابى سـفيان لما طلبا بيعته، إذ قال لهما: (أفلـح من نهض بجناح أو استسـلم فأراح.. ثمّ قال: و مجتنى الثمره لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه).

حقا، لا ينهض فى هذا الموقف إلا من لا يبالى إلا بالحرص على الملك و مطاوله الناس مهما كانت النتائج على الدين و الصالح العام، و أمير المؤمنين أحرص على الاسلام من ان يغرر به لأمر يقول عنه: (انه ماء آجن و لقمه يغص بها آكلها). و لا يساوى عنده نعله التى لا تسوى درهما، إلا إذا كان يقيم حقا أو يدحض باطلا. و لذلك، ينصح الناس فى كلامه الذى أشرنا اليه مع العباس و ابى سفيان، و هما يحثانه على قبول البيعه، فيقول: (شقوا أمواج الفتن بسفن النجاه و عرجوا عن طريق المناظره، وضعوا عن تيجان المفاخره).

و كأنه فى كلامه هذا يحس منهما إذ دعواه لهذا الأمر الآنفه من الخضوع لأخى تيم، و (تيم) على حد تعبير ابى سفيان أقل حى فى قريش، فهما ينظران الى لأمر من ناحيته القبليه، و العصبيه الجاهليه. أما فقهه هو فكما قال من كتاب له فى جواب معاويه فى خصوص هذا الأمر: (و ما على المسلم من غضاضه فى ان يكون مظلوما ما لم يكن شاكا فى دينه)، و هو غير فقههما فان العباس مشى اليه ابو بكر و جماعه ليلا، لما عرفوا موقفه، فأطمع فى الخلافه له و لولده، بعد نقاش انتهى بالاعراض عن النزاع. و أما ابو سفيان فقد نقل ابن ابى الحديد (۱:۳۰) و غيره ان عمر كلم ابا بكر فقال إن ابا سفيان قد قدم و انا لا نأمن شره، فدفع له ما فى يده فتركه، و كان أبو سفيان قد بعث قبل وفاه النبى على الصدقات.

ثمّ لنفترض ثانياً أنه ما كان ليقتل لو ناهض القوم و لكن مع ذلك فالصبر على ترک حقه كان أحجى و أجدر لأن منازعتهم كانت لا شک تجر إلى الفتنه و تبعث على الفرقه، و الاسلام بعد لم يتغلغل فى نفوس العرب و لم يضرب جرانه فى الجزيره، و قد اشرأبّت الاعناق للانتقاض عليه.

فهو إذ وطن نفسه على ما هو أمر من طعم العلقم كما يقول بالتنازل عن حقه، كان يخاف و يخشى، و لكن لا على الحياه و هو هو ابن أبى طالب فى شجاعته و استهانته بالحياه، الذى كان يقول: و الله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها بل كان خوفه على الدين من التصدع و على جامعته من التفرق، فسالم إبقاءً لكلمه الاسلام و اتقاء للخلاف و الشقاق فى صفوف المسلمين فيرتدوا جميعاً على أعقابهم، و المفروض ليس عنده القوه الكافيه لاظهار كلمه الحق و إقامه السلطان.

و هو يشير إلى هذا الخوف فيما يقول فى هذا الصدد من خطبته فى النهج: (ما شككت فى الحق مذ رأيته. لم يوجس موسى عليه السلام خيفه على نفسه. أشفق من غلبه الجهال و دول الضلال. اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل من وثق بماء لم يظمأ). فهو فى هذه الكلمه يتأسى بموسى عليه السلام إذ رموه بالخيفه و لكنّ فرقاً بين الخوف على الحياه و الخوف من غلبه الباطل: و هذا أفضل تفسير لقوله تعالى: (فأوجس فى نفسه خيفه) و فيه تبرئه لنبى الله من الوهن و الشک و ما أدق

معنی کلمه (من وثق بماء لم یظمأ) بعد تقدیم قوله: (ما شککت فی الحق مذ رأیته) و قد رأی الحق و هو ابن عشر سنین!.

و یوضح لنا ذلک جوابه المشهور لأبی سفیان لما جاءه مستفزاً علی أبی بکر و هو یقول: (فوالله لئن شئت لأملؤها خیلاً و رجلاً) و أنت تعرف ما قال له الامام أنه قال: (أنک و الله ما أردت بهذا إلا الفتنه و أنک و الله طالما بغیت للاسلام شراً لا حاجه لنا فی نصیحتک) ما أعظم هذه الصرامه و الصراحه منه لمن یرید أن یبذل نفسه و قومه فی ظاهر الحال ناصراً و معیناً علی خصومه و هو یشکو فقد الناصر. نعم أن الدین الذی بذل له مهجته کان عنده فوق جمیع للاعتبارات، و إن استهان به غیره، و قد رأینا أبا سفیان کیف أسرع فی الرجوع عن وعده و وعیده لما ترکوا له ما فی یده. و أمیر المؤمنین قد صرح بغرضه هذا بعد ذلک فی جوابه الذی أشرنا إلیه عن کتاب معاویه کما فی النهج و العقد الفرید إذ قال عن إبائه علی أبی سفیان: (حتی کنت أنا الذی أبیت لقرب عهد الناس بالکفر مخافه الفرقه بین أهل الاسلام).

۴ سلوکه مع الخلفاء

اما و قد ترکنا الامام یغضی عن حقه و یقرر بالأخیر خطه

الصبر على ما فيها من قذى و شجى فما ذا تراه يتخذ من خطه فى سياسته و سلوكه مع الخلفاء: أ يستسلم فيسرع الى بيعتهم كسائر الناس و يعمل لهم كما يعمل باق المسلمين أم يسلك بقدر ما تسمح به الضروره و تقتضيه المصلحه للدين ؟

قد ابى بعض المؤرخين من القدماء و المحدثين إلا ان يصور الامام مسالماً الى أبعد حدود المسالمه، فيسرع الى البيعه عن طيبه خاطر و رضى بمن نصب لها، و لكن البحث الصحيح يأبى علينا أن نسلم بهذا التسرع فى النقل أو الحكم: فقد ثبت تأريخياً ان عليا لم يبايع ابا بكر إلا بعد موت فاطمه بضعه الرسول، و فى تقدير ابن الأثير فى تاريخه و البخارى و مسلم فى صحيحهما و غيرهم انه سته اشهر، و فى كل هذه المده هو جليس بيته لم يشترك فى جماعه و لا- جمعه و لا- أمر و لا نهى و لم يسمع له صوت فى حروب الرده و غيرها. و اكثر من ذلك كان يطرق ابواب الأنصار و اهل السوابق ليلا- حاملا معه فاطمه و الحسنين يدعوهم الى نفسه و يذكرهم عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، و هذا ما جعله معاويه من ذنوبه فى كتابه السابق الذكر، ثمّ انه كان يقرعهم بالحجه و ينير لهم طريق المحجه ذلك قوله المتقدم:

(فلما قرعته بالحجه).

و هل يظن الظان انه كان يحاول فى هذا العمل ان يتحولوا فى البيعه و ان يتركوا ما ابرموه و هو الذى اسدل دونها

ثوبا و طوى عنها كشحا و رأى الصبر على ذلك احجى و هو الذى يدعوه العباس و ابو سفيان الى البيعه فيأبى ؟ ان هذا الاباء و ذاك الصبر لا يجتمعان مع تلكم المحاوله و الدعوه الى نفسه ما لم يكن يرمى الامام من وراء ذلك الى غرض أسمى مما يظن، انه كان يقيم الحجه فى عمله على اولئك الناس و يفهمهم خطأهم فيما ارتكبوا و تنكبهم عن الحق فيما اسرعوا و إلى ذلك يشير فيما قال: (اللهم انت تعلم انه لم يكن الذى كان منا منافسه فى سلطان و لا التماس شىء من فضول الطعام و لكن لنرد المعالم فى دينك و نظهر الصلاح فى بلادك).

و يؤخذ من طيات التأريخ انه لم تأخذه هواده فى الدعايه و الدعوه الى مبدئه اظهاراً لحقه و اقامه للحجه على سواه، فلا ينكر التأريخ اجتماع اصحابه عنده طيله ايام انعزاله، فيعتبره الطرف الآخر كمؤامره يحاول ابطالها خشيه توسعها، فيرسل من يفرق القوم المجتمعين فيجتمعون. و لا ينكر التأريخ ايضا تطوافه على الأنصار و اهل السوابق كما قدمنا. و لا ينكر عدم اشتراكه فى جمعه و لا جماعه، و هو احرص على الشعائر الدينيه و الواجبات الالهيه من ان يجرأ مجترئ على اتهامه بالمسامحه فيها.

و هذه المقاطعه و ما اليها اعلان صريح برأيه فيما عليه القوم و لذا نرى الخليفه ابا بكر يتذمر من موقف الامام

فعرض فيه من خطبه: (يستعينون بالضعفه و يستنصرون بالنساء كأم طحال احب اهلها اليها البغى إلا انى لو اشاء ان أقول لقلت و لو قلت لبحت. انى ساكت ما تركت) و فى هذا تخوف مما يظن انه سيقع و تهديد باذاعه أمر مكتوم. ما أدرى و لا أظن أحد يدرى اليوم أى شىء هذا الأمر الذى يهدد الخليفه بافشائه، و الظنون تذهب و لا تقف على شىء معين!

و زبده المخض: انا نفهم كل ذلك ان خطه الامام فى حياه فاطمه كانت المقاطعه و الدعوه الى مبدئه و ان يقعد حجزه الضنين على تعبير فاطمه نفسها معتزاً بوجودها، و قد جاهدت معه فى هذا المضمار جهادا له الأثر فيما بعد فى تركيز مقام الامام فى ذهنيه المجتمع الاسلامى. و لا ننسى خطبتها البليغه التى يرن صداها الى اليوم.

و لذا نراه بعد وفاتها يبدل خطته، فبايع، و يبايع معه اهل بيته و اصحابه، و يدخل فيما يدخل فيه القوم. و لكن الى حد محدود بقدر ما تحكم به الضروره الدينيه للاحتفاظ بالجامعه الاسلاميه.

لنسمعه يحدثنا هو عن تبديل خطته فى كتابه الى اهل مصر: (فأمسكت يدى، حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه و آله،

فخشيت ان لم انصر الاسلام و اهله ان أرى فيه ثلماً أو هدما تكون المصيبه به على اعظم من فوت ولايتكم...).

و لم تكن نصرته للاسلام و أهله إلا بسكوته عن حقه و متابعته للقوم، و نصيحته لهم فى مواقع النصح، و إلا فلم يشترك معهم فى طعنه رمح و لا ضربه سيف فى جميع المواقف الى يوم بويع بالخلافه.

و ما ذا يظن الظان فى من جاهد و جالد فى سبيل الاسلام عشرين عاما، و فى كل هذه المده كان سيفه يقطر من دماء المشركين، و لم تثر حرب إلا- و هو ابن بجدتها، و حامل لوائها و مقطر أبطالها و المقذوف فى لهواتها؟ ما ذا يظن الظان فيه عند ما يجلس جلس البيت عن هذا الدين الذى قام بسيفه، و قد تألبت العرب عليه و اشرأبت اعناق النفاق ؟ و الجهاد فرض من فروض الاسلام، أ كان ذلك زهدا فى الجهاد و تواكلا عن الواجب، أم ما ذا؟ أ هناك غير ما نقول من رأيه فى المقاطعه إلا ما تدعو اليها ضروره المحافظه على الجامعه.

و قد يقول القائل: ان الخلفاء هم الذين لم يدعوه الى الدخول معهم فى الحروب و الاشتراك فى الحكم لمصلحه يرونها، و ما كان يجب عليه ان يقدم نفسه متبرعا، كما لم يدع الى ذلك جميع الهاشميين، و لم يسمع ان هاشميا اشترك قائدا فى حرب أو حكم فى عهد الخلفاء الثلاثه. و يشهد لذلك

المحاوره(۱) بين الخليفه عمر بن الخطاب و ابن عباس حينما يدعوه الى العمل فى حمص، فيقل لابن عباس:

(و فى نفسى شىء لم أره منك و أعيانى ذلك) ثمّ يصرح بذلك الشىء: (انى خشيت ان يأتى على الذى هو آت و أنت فى عملك فتقول: هلم الينا و لا هلم اليكم دون غيركم انى رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم استعمل الناس و تركهم).

فيقول ابن عباس: فلم نراه فعل ذلك ؟

فقال عمر: و الله ما أدرى اضن بكم عن العمل، فأهل ذلك انتم، أم اخشى ان تبايعوا بمنزلتكم منه، فيقع العقاب و لا بد من عتاب ؟

و عندئذ يمتنع ابن عباس عن قبول العمل و يقول: ان اعمل لك و فى نفسك ما فيها لم ابرح قذى فى عينيك.

أ ليست هذه المحاوره شاهده على ان الخلفاء هم الذين كانوا يمتنعون عن استعمال بنى هاشم خوف ان يستغلوا مناصبهم للدعوه الى أنفسهم ؟

و للمجيب ان يجيب، فيقول: ان امتناع الخلفاء عن استعمال على و بنى هاشم ان صح فهو دليل آخر على سيره الامام معهم، و استعماله خطه يخشون معها ان يأخذ و قومه ناصيه الأمر ان تولوا عملا من الأعمال. على انا لا

۱- (۱) راجع مروج الذهب (۴۲۷:۱).

نعدم شاهدا على ان عليا هو الذى كان يمتنع عن قبول اعمالهم، فلنستمع الى الحديث الذى جرى بين الخليفتين عمر و عثمان.

يشير عثمان على عمر: (ابعث رجلا أى لحرب فارس له تجربه بالحرب و مضربها.

عمر: من هو؟

عثمان: على بن ابى طالب!

عمر: فالقه و كلمه و ذاكره ذلك، فهل تراه مسرعا اليه ؟

(فيخرج عثمان و يلقى عليا، فيذاكره فيأبى على ذلك و يكرهه).

تأمل استفهام عمر و شكه فى قبول على، ثمّ امتناع على و كراهيته للأمر! و ما نستنتج من ذلك ؟

من هذا و امثاله نعرف ما ذا كان على عليه السلام يتبع فى سيرته مع القوم، و ما كان يجرى عليه فى معاملته معهم، حتى كان يخفت صوته فى جميع الحروب و المواقف، و كأنه ليس من المسلمين أو ليس موجودا بينهم، و هو منهم فى الرعيل الأول، اللهم إلا صوته إذا استشير و نبراس علمه إذا استفتى، حتى اشتهر عن عمر كلمته (لو لا على لهلك عمر) أو (لا كنت لمعضله ليس لها ابو الحسن).

و تتبع استشاراته و احکامه فی کثیر من الوقائع یخرج بنا الی موضوع آخر یحتاج الی کتاب آخر.

انتهی

۲۹ جمادی الاولی ۱۳۶۸ ه

ص:۱۶۳

ص:۱۶۴

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمه بقلم محمد جواد الغبان

تفرض على الأبوه أن أذهب بين حين و آخر إلى ناحيه (الشنافيه) لزياره سيدى الوالد سماحه الشيخ عبد الكاظم الغبان الذى يشغل مركز العالم الدينى هناك.

و قبل بضعه أشهر سافرت إلى (الشنافيه) فترامى الى سمعى من عامه أهل المدينه مديح وافر و ثناء جزيل على مدير جديد فى ناحيتهم هو الاستاذ السيد عبد الله الملاح الذى تم نقله الى تلك الناحيه قريبا.

و ما كان إلا أن اجتمعت بهذا المدير الجديد و تتابعت الاجتماعات بينى و بينه حتى رأيت نفسى منجذبا اليه و متخذا منه صديقا حميما و أخا كريما لأننى وجدت فيه رجلا متمسكا بالصفات الحميده و الأخلاق الكريمه بالاضافه الى كونه قويا فى ادارته نزيها فى احكامه و معاملاته.

و مما لفت نظری من الأخ الاستاذ الملاح أن هوایته المفضله هی العکوف علی العلم و الأدب و الثقافه فهو لا یمضی أوقات فراغه الا بالمطالعه أو البحث و النقاش، و هو فی بحثه و نقاشه یمتاز بحریه الرأی و طلب الحقیقه من دون تعصب.

لقد دارت بینی و بینه عده مباحثات و مناقشات دینیه و علمیه و أدبیه کان فی مقدمتها موضوع (الامامه) الذی هو نقطه الخلاف بین (السنه و الشیعه)، و کنا فی بحثنا و مناقشتنا فی هذا الموضوع متجردین عن کل عاطفه و تعصب ذمیم فوصلنا إلی نتائج حسنه جدا.

و قد أرشدت الاستاذ تتمه لما دار بیننا من المناقشات الی مطالعه کتاب (السقیفه) الذی کتبه استاذنا سماحه العلامه الشیخ محمد رضا المظفر (عمید منتدی النشر).. ذلک الکتاب القیم الذی نفدت طبعته الاولی و اعید طبعه مره اخری لأنه الکتاب الوحید الذی درس موضوع الخلافه الدقیق دراسه مستفیضه علی ضوء المنطق المتجرد عن العواطف و المغالطات.

و حین رجعت الی النجف ارسلت نسخه من کتاب (السقیفه) الی الاستاذ الملاح، و بعد بضعه أیام وصلتنی منه رساله یسجل فیها إعجابه بالکتاب و براعه عرضه و قوه حجته مع إکباره لمؤلفه الکریم، و قد سرد فی رسالته المذکوره عده ملاحظات اعترضته أثناء مطالعته للسقیفه فطلب منی ان

اعرضـها على الاسـتاذ المؤلف ليتفضل بالاجابه عنها، فما كان منى الا أن عرضت الرساله على استاذنا العميد بعد أن اعطيته لمحه خاطفه عن صديقى الاستاذ الملاح فأبدى الاستاذ المظفر استعداده للجواب عن تلك الملاحظات و تفضل فأفرغ نفسه على كثره أشغاله و مسئولياته لكتابه كراس خاص ضمنه أجوبته عنها.

هـذا و قـد رأيت بملاحظـات الاسـتاذ الملاـح و أجوبه اسـتاذنا (العميـد) عنهـا موضوعـا رائعا طريفا أهم مميزاته طلب الحقيقه و كشف الواقع عن طريق الدراسه الصـحيحه التى يوحيها العقل و المنطق السـليم، فوجدت نفسـى مدفوعا الى تمثيلها لعالم الطبع و النشـر بعـد موافقه الطرفين طبعاً خدمه للحقيقه و عرضاً لنماذج من البحث النزيه المتجرد عن الانجراف مع العواطف، لعل اخواننا المسـلمين جميعا من سنه و شيعه يسيرون على منوال هذا الكلام البرىء و المنطق السليم فيجتمع الشمل و تتوحد الصفوف. و إذا كانوا يرون اجتماع الكلمه ضـربا من المسـتحيل فلا أقل من أن يتركوا التطاحن الذى مزق صفوف الطرفين و أوهى قوى الإسلام الذى يتمثل بكلا الفريقين.

و ها أنا ذا الآن أنشـر فى هذا الكراس نص رساله الاستاذ الملاح التى تتضمن ملاحظاته مع نص جواب (العميد) عنها. و ما أدرى عسـى الاسـتاذ الملاح تخطر فى ذهنه ملاحظات اخرى بعد ذلك. و إننى أعد القارئ الكريم بعرضـها على استاذنا العميد عند ما أتلقاها لعلنا نظفر بنشر كراسه ثانيه فى

هذا الموضوع إكمالا للفائده المتوخاه و الله تعالى من وراء القصد.

النجف الأشرف ٢ رجب ١٣٧٣ ه

محمد جواد الغبان

ص:١٧٠

نص رساله الاستاذ عبد الله الملاح حول كتاب السقيفه

أخى الكريم الاستاذ محمد جواد الغبان لا حرمت اخوته تحيه و شوقا

دعنى أشكر لك قبل كل شىء هذه الاخوه الصادقه و حسن ظنك بى فأنا اعتقد اننى لا أستحق منك كل هذا الاطراء إنما هى نفسك النبيله تريك الناس فى صوره نفسك. لوددت انى احقق ظنك فى و الله المسئول ان يلهمنا الصواب و يهدينا الى أحسن الأخلاق انه لا يهدى لأحسنها إلا هو.

أشكر لك أيها الأخ الكريم هديتك الممتعه كتاب السقيفه فقد أمضيت بقراءته وقتاً سعيداً و كنت أود ان ادون لكم رأيى حوله بعد انتهائى من قراءته و لكن حال دون ذلك ذهابى الى بغداد.

كتاب السقيفه كتاب ممتع جداً يدل على سعه علم مؤلفه الفاضل و تمكنه من الاسلوب العلمى العصرى و لو التزم بما جاء فى المقدمه لكان خير كتاب أخرج للناس و لكنه آثر ارضاء عقيدته فلم يلتزم بما أوجبه على نفسه اولا من الجهاد التام، و كنت أود ان اطلع على كتاب (رد على السقيفه) لأطلع على المآخذ التى أخذها على المؤلف. و سأورد باختصار

كل ما عن لی عند مطالعه الکتاب، و لعل بعض ما أورده لا یخرج عن حدود السؤال الذی لا أحسن الاجابه عنه فاذا کان عندک أو عند المؤلف جواب شاف له فأرجو التفضل بعدم حرمانی من فائدته.

۱ یری المؤلف استبعاد سکوت النبی عن أمر الخلافه و توکیل ذلک إلی اختیار الأمه. لما فی ذلک من توقع حدوث الاختلاف کما حصل فعلا و أنا أسأل فأین النص الصریح إذن علی تعیین أحد بالذات ؟

ستقول دون شک: أ فلیس فی حدیث الغدیر کفایه ؟

إن حدیث الغدیر لم یؤمن بصحته کل الناس من المسلمین، و بعض من آمن بصحته فسره علی غیر تفسیر الشیعه مستفیدا من دلاله کلمه المولی علی معانی مختلفه، و أنا شخصیاً أری تفسیر کلمه المولی بغیر التفسیر الذی فسرته الشیعه فی حدیث الغدیر تمحل و سخف.

و لکن فی نفسی شیء کثیر من الحدیث فان البخاری و مسلم لم یرویا الحدیث، و فی سنده من طعن فیه، و لکننی لا أهتم لذلک فان کتب الشیعه ترویه بسند صحیح و هم لیسوا أقل حرصا علی دینهم من السنه، و لکنی سأطرح النقل هنا و أعتمد علی العقل فقط.

یقول القرآن: (وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْیٌ یُوحی).

و يعتقد السنه و الشيعه ان جميع ما صح عن النبى يجب الأخذ به باعتباره وحيا من الله و لكننا نرى ان النبى أمر بكتابه القرآن علما منه بأن كل ما اعتمد فى حفظه على الذاكره اعتوره النسيان أو التحريف بزياده أو نقصان و لم نسمع انه أمر أحدا بكتابه الحديث فاذا كان الحديث وحيا من الله كالقرآن فلما ذا لم يكن قرآنا؟ و أى فرق بين وحى الحديث و وحى القرآن ؟

إن عدم تدوين الحديث أدى إلى الاختلاف الذى نراه الآن فليس من حديث صح عند السنه إلا وجد فيه الشيعه مجالا للطعن و العكس صحيح أ فيمكن أن يبنى دين موحد على حديث يصدقه اناس و يكذبه آخرون، و لكن الفرق الاسلاميه كلها متفقه على أن القرآن الذى بين أيديها صوره صحيحه للوحى المنزل على رسول الله و لا عبره ببعض الأقوال المنسوبه إلى اناس زعموا ان القرآن قد حذف منه كل ما كان فيه مدح لآل البيت.

اريد ان اخلص من هذه المقدمه الى القول بأن امر الخلافه و هى من الاهميه بحيث صورها مؤلف السقيفه الفاضل لا يعقل ان يترك أمرها الى حديث كحديث الغدير لا- تكاد الصحابه تسمعه حتى ينساه أكثرهم و يذهب فى تأويله الآخرون مذاهب مختلفه، أ فما كان ينبغى و الأمر بهذه الأهميه ان ينزل فيها قرآنا. صحيح (ان الله لا يسأل عما يفعل و هم

یسألون) و لکن منطق الحوادث یدلنا علی ان امراً کهذا لا سیما إذا أخذنا عقیده اللطف الإلهی بنظر الاعتبار لم یکن ینبغی ان یسکت عنه القرآن و قد نزل فی أشیاء أقل أهمیه من هذا بکثیر، أما الآیات التی أوردها المؤلف (إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ هُمْ راکِعُونَ) فلا أظن ان من له أقل المام باسلوب القرآن یری قصر الذین آمنوا علی علی (رض) فإن الله لم یشر الی واحد بلفظ الجمع و قد خاطب النبی بقوله (إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ). و بقوله: (وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ). و قال: (إِذْ یَقُولُ لِصاحِبِهِ ... الخ). ثمّ شیء آخر لا بد من الاشاره الیه و هو لو صح ان النبی جعل علیا علیه السلام نفسه حقیقه فی آیه المباهله کیف جاز له تزویجه من ابنته.

۲ إذا صح ان النبی (صلی الله علیه و آله) قد نص علی الائمه الاثنی عشر بعد ان فقد ابنه ابراهیم و حزن علیه حزنا شدیدا ترتب علی ذلک اتهام النبی بأنه إنما قام بالدعوه لحصر الملک و الخلافه فی نفسه و فی أحفاده من بعده و هو ما یتناقض الآیه القرآنیه (فَما سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّ عَلَی اللّهِ).

۳ حدیث الغدیر وقع بعد منصرف النبی من حجه الوداع و وفاته (صلی الله علیه و آله) فی أواخر صفر أو أوائل ربیع الأول من نفس السنه فیکون بین سماع الحدیث و الوفاه نحو شهرین و هی مده قصیره فاذا کان عدد الذین سمعوا حدیث الغدیر سبعین

الفا یزیدون أو ینقصون قلیلا فلا بد ان یکون الأنصار الذین اجتمعوا فی السقیفه من جمله من سمع الحدیث و هم لم یکونوا ممن انامهم عمر مغناطیسیا بنفیه الموت عن رسول الله لأنهم ساعه الاحتضار کانوا مجتمعین فی السقیفه کما یدل علی ذلک مجیء معن بن عدی و عویم بن ساعده إلی عمر و ابی بکر فی دار النبی (صلی الله علیه و آله) و لم یکن بین الأنصار و بین علی علیه السلام ترات فإذا کانت قریش لم تشأ أن تجمع لبنی هاشم بین النبوه و الخلافه و إذا کان علی علیه السلام قد وتر أکثرهم فان الأنصار لم یکونوا یریدون غیر رضا رسول الله فما بالهم و لم یمض علی سماعهم حدیث الغدیر غیر ایام قلیله لا یقوم واحد منهم و قد تنازعوا أمر الخلافه و رشحوا لها مرشحیها یذکرهم بالحدیث و بأن أمر الخلافه قد فرغ منها و قد عین رسول الله لها بأمر ربه علیا.

أما ما أورده المؤلف الفاضل من تطاول الأنصار للخلافه بعد تیقنهم من انصرافها عن مستحقها علی علیه السلام لما یعلمون من حسد العرب له و قریش خاصه فلا یمکن ان یقبله العقل لأن استحاله نصب علی للخلافه للأسباب المذکوره إذا کانت لم تغب عن فطنه الأنصار فقد کان الأولی ان لا تغیب عن فطنه رسول الله و هو المؤید بالوحی فلا یأمر امته بأمر یعلم سلفا انهم لا یطیعون فیه فیعرضهم بذلک الی غضب الله و تذهب جهوده طیله حیاته فی هدایتهم سدی.

ص:۱۷۵

أما قول أحد الأنصار: (لا نبايع إلا عليا) فلا يخرج عن كونه ترشيحا لعلى من قبل أحد المسلمين و لا ينكر أحد أهليه على عليه السلام لهذا الترشيح إذ ان الرجل لم يحتج بحديث الغدير أو آيه قرآنيه داله على وجوب نصب على.

۴ استدل المؤلف الفاضل بتأمير اسامه بن زيد و تخلف وجوه المهاجرين و فيهم ابو بكر و عمر و أبو عبيده عن اللحاق بجيشه على الرغم من تشديد النبى عليهم فى الخروج على رغبه الرسول فى إبعاد من يطمع فى الخلافه عن المدينه و فى تهيئه المسلمين لقبول (قاعده الكفايه).

إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم تكن تأخذه فى الحق لومه لائم و هذا التدبير أشبه بتدبير الضعفاء منه بتدبير الأنبياء فمن كان يدرى النبى و قد تمت البيعه لعلى فى غياب جيش اسامه و وجوه المهاجرين و الأنصار ان القائد و جيشه و قد علموا بوفاه النبى و بالغايه التى ارسلوا من أجلها فى ذلك الظرف الحرج و بنفاذ المؤامره فى تعيين على للخلافه، من كان يدريه انهم لا يولون الخلافه من يريدون و ليس فى عنقهم بيعه لأحد ثمّ يحتلون المدينه بالقوه و يعود التدبير الذى ظنه المؤلف الفاضل حكيما شرا على المسلمين جميعاً فان من يخالف أمر النبى و هو فى المدينه لا يعجزه ان يخالفه و هو فى جيش يؤيده فى رأيه.

إن حياه الرسول (صلى الله عليه و آله) كلها تدل على أنه لم يكن يرهب القوه فى سبيل نشر الدعوه و تبليغ أوامر الله فقد كان فى مكه

وحیدا و فی قریش أمثال عمر و أبی لهب و أبی جهل فلم یمنعه ذلک من تسفیه أحلامهم و الکفر بآلهتهم و فعل کل ما من شأنه استجلاب غضبهم فاذا کان الله قد أمره بقوله: (یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ) بتعیین علی للخلافه فلا عمر و لا غیره کان یمکن ان یحول بین رسول الله و تنفیذ أمر الله و ما کان یمکن أن یترک النبی تنفیذ هذا الأمر الذی فیه صلاح الدین و بقاؤه إلی أحادیث تحمل معانی مختلفه و تدابیر یذهب فی تأویلها کل واحد مذهبا فأمر الخلافه کما تعتقدون من اسس الدین فکان یجب و قد علم النبی بدنو أجله و علم کذلک لما ینتظر امته من فتن کقطع اللیل المظلم و رأی مواقع الفتن خلال بیوت المدینه کمواقع القطر یجب و قد علم کل ذلک أن یأخذ البیعه لعلی فی حیاته و یتخذ من التدابیر ما یحول بین امته و بین الفتن و هو قد بعث رحمه للعالمین و إلا فلیس نبی اضیع جهدا منه فقد اذهب حیاته فی هدی امه ما لبثت ان أخذت طریقها من بعده الی النار.

۵ حدیث (هلموا أکتب لکم کتابا لا تضلوا بعده ابدا). لا شک فی وضعه أبدا علی الرغم من روایه ائمه الحدیث له إذ لا یخلو أن یکون ما أراد النبی کتابته حدیثا أو قرآنا و قد ظل النبی ثلاثاً و عشرین سنه یتحدث و یوحی الیه بالقرآن فلم نره أمر بکتابه شیء من الحدیث أما القرآن فلم یکن النبی یقول (هلموا أکتب لکم) بل کان یخبرهم بنزول

الوحی علیه و یأمر کتبه الوحی بتدوین ما نزل علیه فاذا کان ما أراد یکتبه قرآناً فلما ذا لم یدع کتبه الوحی لیضیفوه الی القرآن أو لما ذا لم یتله علی الحاضرین علی انه قرآن کما کان یفعل فیحفظه عنه الصحابه کما کانوا یحفظون عنه القرآن فلا یتأتی لأحد الشک فیه و لم یکن لعمر حق منع الوحی من النزول و لم ینکر أحد جواز نزول الوحی علی النبی فی مرضه. أما إذا کان حدیثا فمتی یا تری أمر النبی بکتابه الحدیث و ما الحاجه الی کتابه هذا الکتاب إذا کان کل ما فیه هو التأکید علی امامه علی علیه السلام ؟ أ لم یسبق أن نص النبی علی امامته یوم الغدیر و من نسی حدیث الغدیر أو أنکره علی قرب العهد به فهو لما فی الکتاب المزمع کتابته أشد نسیانا و نکرانا.

ثمّ من هو عمر هذا الذی یأمر و ینهی و لا یستطیع أحد مخالفته حتی رسول الله یمنعه عمر من أن یرشد المسلمین إلی أهم أمر من أمور الدین بعد التوحید.

لقد کان عند رسول الله (صلی الله علیه و آله) علی و عبد الله بن العباس و غیرهما من وجوه بنی هاشم و لم یزد عمر علی أن رأی رأیا حین قال: (إن الرجل قد غلبه الوجع حسبنا کتاب الله). فلو کان الأمر من الأهمیه بحیث کان ابن عباس یبکی حتی یبل الحصباء کلما ذکر ذلک لکان وجب أن یأمر رسول الله باخراج عمر من عنده و یصر علی املاء ما أراد املاءه بمحضر ممن یثق بأمانتهم و لو کان الأمر متعلقا بأمر جوهری من

امور الدين لما جاز الله أن يعدل عن تبيانه لمجرد اعتراض عمر و إلا لترتب على ذلك ان النبى (صلى الله عليه و آله) كتم كثيرا مما كان يريد تبليغه خشيه عمر و غيره و لا أظن أن مؤمنا يقول بذلك.

۶ إن ما نسب الى الامام على عليه السلام بعد تمام البيعه لأبى بكر يدل دلاله صريحه على عدم ثبوت حديث الغدير آنذاك فان قول الامام: (احتجوا بالشجره و اضاعوا الثمره). و قوله لأبى بكر: (أفسدت علينا أمرنا و لم تستشر و لم ترع لنا حقا) لا يدل إلا على انه كان يرى نفسه أحق بالخلافه من أبى بكر و ليس ذلك بعجيب، فعلى من عرفه المسلمون ربيب رسول الله و زوج الزهراء و أبو الحسنين و أتقى الناس لله فلا غرو إذا رأى نفسه أحق بالخلافه من غيره و لكن اعتقاد الاحقيه فى الخلافه شىء وعد استخلاف غيره اغتصاباً لحقه و مروقاً من الدين شىء آخر فاننا لا زلنا نرى ترأس المفضول على الأفضل فى جميع الأزمان و السلطه كالرزق حظوظ و حتى فى أيامنا ليس انتخاب نائب عن منطقه على فرض حريه الانتخاب دليلا على ان المنتخب هو خير أهل المنطقه.

ثمّ ما معنى انصراف وجوه الناس عنه بعد موت الزهراء عليها السلام فاذا كان قد اجتمع اليه قبل موت الزهراء إنما اجتمع لأنه آمن بحديث الغدير و اعتقد ان البيعه لغيره ضلال لما جاز أن يتغير بموت الزهراء و إلا لثبت أن اجتماعه

إلى على عليه السلام لم يكن من أجله هو و لا- ايمانا بوجوب امامته بل اكراما للزهراء فلما دعاها ربها الى جواره انتفى السبب الذى كان يربطه بعلى.

ثمّ انظر رحمك الله إلى قول الامام: (فنظرت فاذا ليس لى معين إلا أهل بيتى فضننت بهم على الموت). كيف يعقل ان امه قال الله فيها (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) تعلم من أمر دينها ان عليا أمامها لا يجوز العدل عنه إلى غيره و لا- يتم الايمان إلا- بإمامته لا- يبقى فيهم من ينهى عن المنكر و أى منكر أعظم من مخالفه صريح أمر النبى و العدول بالخلافه الى غير مستحقها حتى لم يبق منهم من يؤيد عليا غير اهل بيته وليتنى اعلم فيم باع كل هؤلاء الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه مرارا و تكرارا دينهم، أمن أجل سواد عينى أبى بكر و عمر فقط أو يكون بغض على قد بلغ بهم حدا هوّن عليهم دخول النار؟

٧ أ لا ترى تناقضا بين قولى الامام: (لو وجدت أربعين ذوى عزم منهم لناهضت القوم)، و بين قوله: (فأمسكت يدى حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد فخشيت ان لم أنصر الاسلام و أهله ان ارى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبه به على أعظم من فوت و لا يتكلم).

فهو عليه السلام يود مرّه لو يجد أربعين ذوى عزم

ليناهض بهم القوم و مره يرى وجوب نصرهم و يحشرهم مع أهل الاسلام، أو تراه لو وجد أربعين ذوى عزم ثمّ ناهض بهم القوم أما كان ذلك هدما للاسلام أو ثلما له، إذ من كان يضمن النصر له فالأمه مجمعه على ان جيش يزيد كان مبطلا و كان جيش الحسين محقا و مع ذلك جاء الباطل و زهق الحق. و إذا صح أن مالكا بن نويره قد رفض بيعه أبى بكر لأنه لم يرى البيعه إلا لعلى أما تكون الحجه قد قامت بوجود الناصر فلا شك ان مالكا كان من ذوى العزم الذين كان الامام يود وجودهم.

ثمّ كيف يتفق قوله: (فخشيت إن لم أنصر الاسلام و أهله أن أرى فيه ثلما أو هدما)، مع ما ذهب اليه المؤلف الفاضل من تقاعسه عن نصره الخلفاء و عدم التعاون معهم إلا بمقدار، فان كل معاونه باليد او باللسان نصر للاسلام و أهله و أى تباطؤ عن ذلك ثلم له.

فلو علم الامام عليه السلام ان الاسلام يعزُّ بالعمل الفلانى أو القول الفلانى ثمّ احجم عن الفعل أو القول لكان خاذلا للاسلام و لأهله.

و لم أر فى عيوب الناس عيبا كعيب القادرين على التمام

لذلك فأنا أشك فى صحه نسبه الأقوال المذكوره للامام فأبو الحسن أجل فى نفسى من ذلك ليس هو دون خالد بن الوليد حين

قال و قد عزله عمر عن امره الجيش: (لم أكن احارب من أجل عمر) فلم يكن الاسلام ملكا لأبى بكر و عمر أو غيرهما حتى يتباطأ أبو الحسن عن نصرتهما.

أما عدم ورود ذكره فى الحروب التى جرت على عهد الخليفتين الأولين فلا يدل ذلك على عدم تعاونه معهما تعاونا صادقا تاما فى كل ناحيه من نواحى العمل و إلا فأين الحروب التى اشترك فيها عمر و عثمان و طلحه و الزبير فى زمن أبى بكر و هل يدل عدم ذكر اسمائهم على عدم معاونتهم له معاونه صادقه.

و بعد فهذه ملاحظات عابره أحببت أن ادونها تزجيه للوقت و قد يكون لها أجوبه مقنعه أنا أجهلها.

و أرجو أن تتهيأ لى فرصه الاجتماع بالمؤلف الفاضل الذى أرجو أن تبلغه اعجابى و تحياتى فنتوسع فيما اجملته هنا.

و اسلم لمحبك

عبد الله الملاح

الشنافيه ۳ ربيع الثانى ۱۳۷۳

ص:۱۸۲

نص رساله الشیخ المظفر رداً علی رساله الاستاذ الملاح إلی حضره الأخ الفاضل عبد الله الملاح المحترم

اشاره

اهدی تحیاتی العاطره

اطلعنی الأخ قره العین (الغبان) علی رسالتکم الیه المؤرخه ۳ ربیع الثانی ۱۳۷۳ فقرأت فیها الأدب الجم و التواضع المستحب و الرغبه فی الرکون إلی الانصاف فی القول. و هذا ما کنت اتوقعه بعد ان کان قد عرفک إلی (الجواد) من قبل.

و لأجل ان لا تفوتنی فرصه التعرف الیک فضلت أن احرر بنفسی الجواب عن رسالتک و سامحنی إذا تأخرت ایاما اقتضتها طبیعه أشغالنا هذه الأیام.

و قبل کل حدیث احببت أن أذکر للأخ ان کل بحث و سؤال یمکن ان یعقب و یجاب عنه إذا استعمل الاسلوب الخطابی بمهاره، عند ما تکون العاطفه تأخذ أثرها فی الجدل، غیر انی ارجو من الله تعالی أن یعصمنی و یعصمک من ان تطلع رأسها خلال هذه الأبحاث التی یجب ان یتبع فیها الحق للحق.

و علی ذکر العاطفه فانک رعاک الله بعد ما تفضلت من الثناء العاطر علی کتاب السقیفه و صاحبه بما یعبر عن سمو نفسک

و اخلاقك قلت: (و لكنه آثر ارضاء عقيدته فلم يلتزم بما أوجبه على نفسه اولا من الحياد التام). صحيح إنى لم يظهر على بحثى الأخير الحياد التام بل و لا الحياد الناقص، و يجب ان اعترف بذلك، و لكن ما حيلتى إذا كان منطق البحث هو الذى ساقنى الى ذلك. فلم أشأ أن اغالط القارئ أو اخادعه فيما توصلت اليه من رأى. و لو كان البحث قد ساقنى الى الانحراف عن هذا الطريق لما عدوته. و حينئذ اتبع مسلكا آخر فى اسلوب التأليف أو نشره. و الله المطلع. على السرائر و هو الشاهد إذا كان ما أمليته بدافع العاطفه و لو بنحو لا شعورى. و لا ابرئ نفسى كما قلت فى مقدمه السقيفه إن النفس لأماره بالسوء إلا ما عصم الله.

و لا اطيل فى المقدمه، فأقول ما عندى باختصار فى الأبحاث التى أثرتها

البحث الأول

١ انك شككت فى صحه حديث الغدير، لأن البخارى و مسلماً لم يروياه فى كتابيهما. و إنى لملتجئ أن اصارحك انه لا يضر هذا الحديث المستفيض بل المتواتر انهما لم يروياه بشخصهما، و لا سيما بعد أن استدركه عليهما الحاكم فى المستدرك (١٠٩:٣) و (٣٨١:٤) و اكثر من ذلك صححه على شرطهما و كذلك فى كنز العمال (٣٩٠:٦).

ثمّ هل تدرى يا أخى كم ترك البخارى و مسلم من احاديث

صحیحه علی شرطهما استدرکت علیهما؟ و یکفی ان تراجع مستدرک الحاکم. و الله اعلم لما ذا ترکا هذا الحدیث و نحوه! و أرجو الا تذهب بک الثقه بصحیحی البخاری و مسلم هذا المذهب. حتی تجعل عدم روایتهما لحدیث سببا فی الطعن بذلک الحدیث. فقد رابنی منهما ما یریب کل منصف طالب للحق، فانهما لم یرویا أبدا و لا حدیثا واحدا عن جعفر بن محمد الصادق علیه السلام، و لئن لم یکن اماما فعلی الأقل هو أوثق و أجل و أعلم فقهاء عصره ؟ بل لم یرویا عن أبنائه الأئمه کلهم. و ما أقل ما روياه عن آبائه حتی عن علی أمیر المؤمنین علیه السلام و هو من تعرف.

هذا کله فی وقت قد اکثرا من الروایه عن جماعه کثیره هم محل الریب بل الطعن فضلاً عن المجهولین. و لو وسع الوقت و هذه الرساله العابره لذکرت لک العشرات من هؤلاء الرواه. و لا محیص من أن أذکر لک جماعه منهم علی سبیل المثال لتعرف انی علی حق فیما قلت و لک علی أن لا أنقل إلا من علماء و رجال من أهل السنه لتطمئن إلی قولهم:

فمن هؤلاء الرواه (احمد بن عیسی المصری) فقد ذکر ابن حجر فی تهذیب التهذیب و الذهبی فی میزان الاعتدال: ان ابن معین حلف عن احمد هذا انه کذاب. و نقل فی التهذیب عن أبی زرعه انه انکر علی مسلم روایته عن احمد هذا فی الصحیح قال: (هؤلاء قوم یعنی مسلما و نحوه أرادوا التقدم قبل أوانه فعملوا شیئا یتشرفون به) و قال: (یروی یعنی مسلما عن احمد فی الصحیح ما رأیت أهل مصر یشکون فی انه...) و أشار إلی لسانه یعنی انه یقول الکذب.

و (منهم) اسماعيل بن عبد الله بن اويس، فقد نقل فى هذين الكتابين المتقدمين اعنى التهذيب و الميزان: (ان ابن معين قال عنه: لا يساوى فلسين. و قال ايضا: هو و أبوه يسرقان الحديث) و نقلا غير هذا من الطعون الشديده فيه.

و (منهم) عبد الله بن صالح المصرى طعن فيه فى التهذيب و الميزان نقلا عن ثقاه العلماء بأنه يكذب و ليس بشىء و ليس بثقه، و قال فى الميزان: (روى عنه البخارى فى الصحيح و لكنه يدلسه فيقول عبد الله و لا ينسبه) فانظر و اعجب.

و (منهم) عمران بن حطان السدوسى الخارجى المعروف، و قد روى عنه البخارى و قد أكثر علماء الرجال من الطعن فيه، و هو المادح لابن ملجم بقوله المشهور:

يا ضربه من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

و (منهم) عنبسه بن خالد الذى كان على خراج مصر و كان يعلق النساء بالثدى، فقال عنه يحيى بن كثير كما فى التهذيب و الميزان: (إنما يحدث عنه مجنون أو أحمق لم يكن موضعا للكتابه عنه).

و (منهم) محمد بن سعيد الكذاب المشهور الذى صلبه أبو جعفر على الزندقه قال فى الميزان: (روى عنه ابن عجلان و الثورى و مروان الفزارى و ابو معاويه و المحاربى و آخرون، و قد غيروا اسمه على وجوه ستراً له و تدليساً لضعفه) إلى أن قال أحد العلماء: (قلبوا اسمه على مائه

اسم و زياده قد جمعها فی کتاب) ثمّ قال المیزان: (قد اخرج عنه البخاری فی مواضع و ظنه جماعه).

و (منهم) هشام بن عمار خطیب دمشق و محدثها و عالمها قیل عنه: انه حدث بأربعمائه حدیث لا أصل لها، و قیل عنه غیر ذلک.

و منهم... و منهم... و ما أدری ما ذا احصی لک من رواه الصحیحین علی هذه الشاکله. قیل لمسلم کما فی التهذیب و المیزان بترجمه سوید بن سعید الهروی: (کیف استجزت الروایه عن سوید)؟ فقال: (و من أین آتی بنسخه حفص بن میسره!). بالله علیک أ یصلح هذا عذرا فی الروایه عن الضعفاء ممن اشترط علی نفسه انه لا یروی إلا عن ثقه مأمون، و عند جعفر بن محمد الصادق و ابنائه و آبائه من العلم و الحدیث ما طبق الخافقین و ما یغنیه عن امثال سوید و حفص ؟ أ فلا یساوی أهل البیت عنده امثال أولئکم الضعفاء المطعون فی صدقهم ؟. بالله علیک أ یأخذ الانسان المؤمن الموقن دینه من هؤلاء الرواه و أمثالهم و یوثقهم ثمّ یترک آل البیت! أی عذر یتخذه الانسان یلاقی به ربه یوم الحساب إذا کان ممن یعتقد بالله و بیوم الجزاء و یرید مخلصاً أن یخلص إلی الحق الصریح إلا اذا أراد أن یخادع نفسه أو یداهن فی دینه ؟

۲ و أما قولک: (ان فی سند الحدیث من طعن فیه) فأظن یکفینا مراجعه الجزء الأول من کتاب الغدیر لنعرف ان الطعن مهلهل لا سیما بعد أن نعرف ان الحدیث لیس له سند واحد یبقی مجال معه للطعن، بل هو مستفیض إن لم یکن متواتراً، علی أنه قد روی بسند صحیح علی

شرط الشيخين مسلم و البخارى كما نقلت لك عن مستدرك الحاكم و كنز العمال.

٣ و أما حديثكم عن تدوين الحديث عامه كالقرآن، فان صريح القول فيه عندى الذى ادين به ربى و لا اغالط نفسى انه ثبت من طرق الطرفين الصحيحه(١) التى لا ريب فيها ان نبينا الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم قال: (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً. ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض).

فقد قرن الهدايه (ابدا) بالتمسك بهما معاً لا بالتمسك بواحد منهما فكل حديث لا يرجع الى الثقل الثانى لا أجد مجالا للتمسك به إلا إذا كنت لا أفهم الكلام العربى المبين أو أغالط نفسى.

دقق النظر يا أخى فى هذا الحديث الجليل تجد ما يدهشك فى مبناه و معناه، فما أبعد المرمى فى قوله: (لن تضلوا بعدى ابدا) و لكن بشرط إذا تمسكنا بهما (بهما) لا بواحد منهما فقط. و ما أوضح المعنى فى قوله: (لن يفترقا) فمن فرق بينهما أ يجد الهدايه يا ترى ؟

و على هذا نستطيع أن نتنبه لما ذا لم يأمر (صلى الله عليه و آله) بتدوين الحديث كالقرآن، فقد كفاه انه (ترك) لنا الثقل الثانى الذى هو عدل القرآن

١- (١) و مسلم قد رواه فى صحيحه فى فضائل على من عده طرق إذا كنت لا تصدق إلا بمسلم و البخارى. أما البخارى فلم يروه و لكن الحاكم استدركه عليه (١٠٩:٣).

الكريم حسب تعبيره و أمر بالتمسك به مقروناً بالتمسك بالثقل الأول (القرآن)، فهو الذى يكفل لنا دين النبى و قوانينه من وقوع الضلال فيها أبدا (أبدا) ما إن تمسكنا به مع القرآن، و هو الذى يبين لنا كل ما أجمل فى القرآن و ما نزل من أحكام و ما جاء من قوانين لا (الحديث).

و لا يبقى بعد هذا مجال لمن قال أو يقول: (حسبنا كتاب الله) فانه لو كان (حسبنا) و فيه الكفايه لما قرنه النبى بعدله الثقل الثانى. أ ليس كذلك يا قره عينى ؟

و استطيع ان اخلص من هذا الكلام الى موافقتك (موافقتك أنت) انه لا يصح الاعتماد على (الحديث) لانه ليس بعدل للقرآن و إلا- لو كان الحديث المعمول به عند الناس طريقا الى اثبات الوحى الإلهى لكان النبى يأمر كما قلت بتدوينه كما أمر بتدوين القرآن. بل ازيدك بأنه لم يقرن (صلى الله عليه و آله) الحديث بالقرآن و لم تأت بذلك روايه معتبره و لا آيه، بل اكثر من ذلك قد اخبر عن كثره الكذابين عليه بعده و حذرنا منهم، و لم يرو عنه انه شجع على الحديث عنه.

و هنا اعيد كلامك السديد فأقول معك: (أ فيمكن ان يبنى دين موحد على حديث يصدقه اناس و يكذبه آخرون). إذن فليسقط (الحديث) من اعتبارنا جمله، و لكنا إنما نستدل به لنتخذه حجه على من يراه حجه عنده من باب الزام الخصم بما يعترف به، فان تنازل الخصم عن حجيه الحديث و انكره جمله، قلنا له: بما ذا تثبت تفاصيل الاحتكام و خصوصياتها فان القرآن فيه المجمل و المبين و المتشابه و المحكم و العام و الخاص و الناسخ و المنسوخ و ليس فيه تفاصيل الأحكام

و خصوصیاتها، فهذه الصلاه مثلا من أین تعرف أوقاتها و فرائضها و رکعاتها و أجزائها و شرائطها و مقدماتها و ما یتصل بها من أحکام لا تحصی ؟

فهل ترجع إلی اعتبار الحدیث مره اخری ؟

أم تلتجئ عندئذ إلی الاعتراف بالثقل الثانی الذی أرجعنا الیه النبی (صلی الله علیه و آله) مع القرآن.

أم ما ذا؟

۴ قولک سدد الله قولک: (لا یعقل أن یترک أمرها أی الخلافه إلی حدیث کحدیث الغدیر)، فیا قره العین لیس الأمر منحصراً بحدیث الغدیر حتی یتم استغرابک فکم هی الأحادیث و الآیات کما قرأت بعضها فی السقیفه و هی یؤید بعضها بعضاً و یفسر بعضها بعضاً إذا کان الواحد منها لا یکفیک.

أما وصفک لحدیث الغدیر بأنه (لا تکاد الصحابه تسمعه حتی ینساه أکثرهم و یذهب فی تأویله الآخرون مذاهب مختلفه) فانی أجلک من هذا الکلام فانه ما علی النبی من ضیر أن تنسی حدیثه الصحابه أو تتأوله، بل ترک أمر الخلافه إلی الصریح الفصیح من الکلام و بلغهم و إذا کانوا نسوه فالعیب فیهم لا فی الحدیث، علی أنا لا بد أن نقول: انهم تناسوه لا نسوه، و من أین علمنا بأنهم نسوه.

و أما الذین ذهبوا المذاهب المختلفه فی تأویله فاولئک قوم من المتأخرین و لیس هم الصحابه کما یشعر به قولک و ذلک لما ضاقوا

ذرعا فی الطعن فی سنده فاضطروا لتأویله بالتأویلات التی تعرفها.

۵ و أما آیه (إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ ...) فصحیح ما قلت فیها علی ما اعتقد انه لم یعهد التعبیر فی الکتاب العزیز عن المفرد بالجمع. و ازیدک انه لو کان المراد التعبیر بالجمع عن المفرد لقال (الذین أقاموا... و آتوا...). و التعبیر المضارع (یُقِیمُونَ ... وَ یُؤْتُونَ ..) دلیل علی أن المقصود بها قاعده کلیه. و بتعبیر منطقی تعرفه إذا کنت درست علم المنطق ان هذه حقیقه معناها ان کل من فرض فیه انه وقع منه هذا العمل أو یقع فهو ولی للمؤمنین ولایه کولایه الله و رسوله، لا قضیه شخصیه مشار بها إلی شخص أو أشخاص مخصوصین موجودین فی الخارج، و إلا لوجب ان یقول بصیغه الماضی أقاموا و آتوا.

و علیه فالمقصود بالآیه الکریمه ان کل مؤمن یقیم الصلاه و یؤتی الزکاه و هو فی حال رکوعه فهو له الولایه العامه التی کولایه الله و رسوله. و علی هذا تکون الآیه کبری کلیه لا یتألف منها وحدها القیاس المنطقی و لا تنتج شیئا إلا إذا عرفنا الصغری لها، و لا یمکن الاستبدال بها وحدها مجرده بدون ضم الصغری لها، و لیس منطوقها إلا کمنطوق القوانین العامه مثل ان یقول القانون (کل من یحمل الشهاده الحقوقیه له الحق أن یعین حاکما) فإن هذا القانون لا ینفعنا فی معرفه الأشخاص الذین یحملون الشهاده بل لا بد من الخارج ان نعرفهم بأشخاصهم لنعطی لهم هذا الحق.

و بهذه المقدمه نخلص إلی معرفه وجه الاستدلال بالآیه علی ولایه

علی، و ذلک بضمیمه الصغری أی بضمیمه معرفه نزولها، و قد ثبت انها نزلت فی علی عند ما تصدق بخاتمه و هو فی حال رکوعه، فتشخصت هذه القاعده الکلیه فیه باعتبار انها نزلت فیه. و لم یعهد من غیره من الصحابه من آتی الزکاه و هو راکع لا قبله و لا بعده، فانحصر هذا الکلی فی فرد واحد بحکم نزول الآیه فیه.

و أما الحکمه فی التعبیر بهذه القاعده الکلیه فلبیان ان علیاً بالاستحقاق نال هذه المنزله من الولایه لصدور هذا العمل منه الذی یعطی له هذا الحق، و المفروض انه لم یقع من غیره فتنحصر فیه هذه الولایه من دون باقی الصحابه.

۶ أما آیه (المباهله) فأظن ان ما ذکرته عنها ستتراجع عنه عند ما تعید التأمل فیه فإنه قول غریب منک مع ذکائک و فطنتک، لأنه واضح لیس المقصود من انه نفسه انه هو علی وجه تبطل الاثنینیه حتی یترتب علیه انه لا یجوز ان یتزوج علی ببنت محمد (صلی الله علیه و آله) باعتبار انها تکون ابنته ایضا، فان هذا لا یتوهمه عاقل و لا یتوقف علیه الاستدلال، فان محمداً محمد و علیاً علی هما شخصان اثنان احدهما ابن عم الآخر و أحدهما ولد قبل الآخر و مات قبله، و لکل منهما ممیزاته الشخصیه التی تختلف عن ممیزات شخصیه الآخر، بل المقصود انه نفسه تنزیلا أی انه کنفسه و ذلک مبالغه فی تقاربهما و اتحادهما فی کثیر من الأحکام المنزله. و ذلک یشبه قول الشاعر فی مبالغته عن اتحاده مع حبیبه.

أنا من أهوی و من أهوی أنا نحن روحان حللنا بدنا

فاذا أبصرتنی أبصرته و إذا أبصرته أبصرتنا

فی البحث الثانی

قلت: (إذا صح أن النبی (صلی الله علیه و آله) قد نص علی الأئمه الاثنی عشر بعد ان فقد ابنه ابراهیم) لا یا أخی لم یدع أحد أن النص علی الأئمه کان بعد فقد ابراهیم و لم یصح فیه حدیث، فمن أین جئت بهذا. و لا بأس أن ألفت نظرک إلی ان هناک آیه قرآنیه اخری نظیر التی ذکرتها و هی قوله تعالی: (قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی) فما ذا تقول فیها(۱)؟

و هلا تدری أن النبی لما نزلت هذه الآیه (وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ) جمع عشیرته و استنصرهم و جعل لناصره ان یکون اخاه و وصیه و وارثه و خلیفته من بعده و کان علی صبیا فأجابه دونهم فقال فی حقه: (إن هذا أخی و وصیی و خلیفتی من بعدی فاسمعوا له و اطیعوا) فخرجوا یتضاحکون من تأمیره هذا الغلام علی شیوخ قومه و فیهم

۱- (۱) و ما ذکرت انها آیه فلا وجود لها بنصها، و إنما بمضمونها آیات نزلت فی نوح و هود و صالح و شعیب و لوط علیهم السلام. و النازله علی لسان نبینا إنما هی آیه القربی و آیه اخری فی سبأ ۴۷ (قُلْ ما سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَکُمْ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّ عَلَی اللّهِ) و هما یفسر احداهما الاخری، و یدلان علی انه (صلی الله علیه و آله) سأل اجرا هو الموده فی القربی، و لکنه للمسلمین أی نفعه لهم.

ابوه. بالله علیک کم سبقت هذه الواقعه فی الزمن مولد ابراهیم. و تأمل فی صبی لم یبلغ الحلم یقال له هذا القول من نبی لا یقول إلاـ عن وحی. أ هـذا جـد أم هزل ؟. تأمل فی هـذا و حکم وجـدانک و اعرضه علی انصافک و أوله ما شـئت أن تأوله فانک لا محـاله سـتجد هـذا الصبی أکبر من أن یقاس إلی الناس و قـد أمر من یومه ذاک فی مبـدأ البعثه، ثمّ فکر فی قول من یقول انه لا قیمه لإسلامه یومئذ و هو لم یبلغ الحلم کم یبلغ من درجه الانصاف و قول العدل و قوه الحجه.

فی البحث الثالث

۱ ذکرت ان الأنصـار سـاعه الاحتضار کانوا مجتمعین فی السـقیفه و جعلت دلیلک مجیء معن و عویم إلی دار النبی لاخبار أبی بکر و عمر. و لکن الدعوی منک غریبه لا شاهد لها من التأریخ، و الدلیل أغرب، لأنه فی ساعه الاحتضار کان أبو بکر فی السنح و مـا جاء الی المـدینه إلا بعـد ان بلغه وفاه النبی فجاء إلی دار النبی فکشف عن وجهه صـلی الله علیه و آله و سـلم علی ما ذکره بعض المؤرخین ثمّ ذهب إلی المسـجد حیث وجـد عمراً یخطب الناس بأن النبی لم یمت، و من المسـجد بعـد أن هـدأت سوره عمر ذهبوا إلی دار النبی و لا بد أن الأنصار حینئذ انسلوا إلی سقیفتهم.

۲ استغربت من الأنصار أن یتنکروا للنص علی علی، و لکن

اعتقد يا عزيزى لو انك رجعت الى ما ذكرته فى السقيفه عن دوافعهم على تنكيرهم لكان لك مقنعاً كافياً.

و أما قولك: (فقد كان الأولى أن لا تغيب عن فطنه رسول الله و هو المؤيد بالوحى فلا يأمر بأمر امته يعلم سلفاً بأنهم لا يطيعون فيه فيعرضهم بذلك إلى غضب الله...) فانى أقول كيف يغيب عن فطنتك قوله تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ). و قوله: (إِنْ أَنْتَ إِلاّ نَذِيرٌ) . و قوله:

(فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ ...) و أمثال ذلك فى القرآن كثير. و فى الحقيقه ان الرسول عليه ان يبلغ الأمر الإلهى و ليس عليه أن لا يطيعه الناس. و لا يصح أن يتنازل عنه لمجرد انه يعلم سلفا انهم لا يطيعونه. و إلا لوجب ان يترك كثيرا من الأحكام كلها لأنه يعلم سلفا انهم كلهم أو بعضهم لا فرق لا يطيعونه. و من المواقع التى يعلم سلفا انهم لا يطيعونه فيها و مع ذلك بلغها قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً) فانه اجمع المفسرون و أهل الحديث انه لم يعمل بهذا الحكم إلا على عليه السلام(۱)

يا عزيزى إن الله تعالى يقول: (وَ ما أَكْثَرُ النّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) ثمّ يقول عن المؤمنين بالخصوص: (وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ) فاذا كان تعالى يعلم سلفاً و رسوله يعلم سلفاً ان الناس اكثرهم لا يؤمنون و أن يؤمنون اكثرهم فى ايمانهم مشركون، فيكون على قولك ارسال الرسل و تبليغ الأحكام للناس من قبلهم تعريضاً

۱- (۱) هذا الحديث مما ترك روايته البخارى و مسلم أيضاً و استدركه عليهما الحاكم على شرطهما (۴۸۲:۲) مع الاجماع على نقله فلما ذا تركه الشيخان ؟

لاکثر الناس و اکثر المؤمنین منهم إلی غضب الله و تذهب جهود الرسل فی هدایتهم سدی.

أ هـذا هو المنطق یـا قره عینی ؟ أ یترک الله دینه و احکـامه لسواد عیون الناس لأنه یعلم سـلفاً انهم یعصونه ؟ لا یا أخی إن الحق یجب ان یبین و الحکم یجب ان یوضح سواء أطاع الناس أم عصوا و ما علی الرسول إلا البلاغ.

فی البحث الرابع

قلت عن بعث اسامه: (ان رسول الله (صـلی الله علیه و آله) لم تکن تأخذه فی الحق لومه لائم و هذا التدبیر أشـبه بتدبیر الضعفاء). و أقول: نحن بعد أن تثبت عندنا النصوص علی علی فانا نعرف کیف لم تکن تأخذ ه

فی الحق لومه لائم، فقـد بین و أوضح و کرر و أکد، و لکنه بعد ان اتضح لدیه ان کل هذه التأکیدات و البیانات سـتخالف علی کـل حـال و ان هنـاک جمـاعه سوف لا تطیع الأمر فی علی فأراد أن یبعـدهم عن المـدینه بهـذه الطریقه. و لیس هـذا من تـدبیر الضعفاء بل من التدبیر الحکیم بعد أن نعرف ملابسات الواقعه کما أوضحناها فی کتاب السقیفه.

نعم نتصوره من تدبیر الضعفاء إذا نحن أنکرنا تلک النصوص علی علی و تصریحات النبی فی حقه و أنکرنا ان المسلمین یوم

الغدیر سلموا علیه بإمره المؤمنین. نعم إذا انکرنا تلک النصوص جمله و تصورنا أن النبی أراد البیعه لابن عمه سراً فدبر ذلک التدبیر الخفی لأبعاد خصومه فلا نتصور النبی حینئذ و حاشاه إلا جباناً ضعیفاً یرید أن یخاتل المسلمین فی ابن عمه. و لکن یا أخی کل هذا التدبیر إنما یکون مقبولا حکیما إذا کان قد وقع بعد ما اعلن أمر ابن عمه فلم تنفع معهم کل تلک التوضیحات و علم اصرارهم علی المخالفه فأرسل هذا البعث، و إن لم ینفذوه فقد أقام به الحجه البالغه علیهم، و الا فلما ذا خالفوا أمره فیه و لما ذا تباطؤا و اعترضوا علی تأمیر اسامه ؟ و قد بسطنا کل ذلک فی کتاب السقیفه.

و لا یشک التاریخ فی وقوع البعث و لا فی تأخر المبعوثین عن تنفیذه و لا فی تألم النبی منهم و غضبه علیهم و اصراره علیه مره اخری. و لا یصح تفسیر ذلک بغیر ما ذکرنا إلا إذا کنا ننکر النصوص علی علی جمله، فهذا أمر آخر و لا کلام لنا مع هذا المنکر فان مثله لا یستطیع أن یستسیغ هذا التفسیر قطعاً.

أما تقدیرک أن جیش اسامه هذا لو رجع بعد ان یفتح و قد وجد الأمر قد تم لعلی قد ینتقض فیحارب من فی المدینه، فهذا احتمال من الجائزان یقع و أن لا یقع، و لکن لو وقع منهم فانهم یکونون کأهل الرده الخارجین علی امام زمانهم یحاربون و تکون الحجه علیهم لا سیما مع سبق النصوص و بیعتهم لعلی یوم الغدیر و لم یبق مجال للتأویل أو تجاهل النص علی علی بعد تمام البیعه له.

فی البحث الخامس

انک تشک فی صحه حدیث الکتاب الذی أراد النبی أن

یکتبه. و أنا أقول لا مجال لهذا الشک بعد ثبوته بروایه أهل الحدیث و التاریخ و التفسیر. و لا بد من التسلیم به بعد ان کان متواتر النقل أو فی حکم المتواتر. و أما ما ذکرت من سبب الطعن فیه ففیه کثیر من فضول القول فیما یتعلق باحتمال انه کان قرآنا فانه لیس مجال لهذا الاحتمال و لا یتصوره أحد بل هو کتاب أراد أن یسجله للمسلمین لئلا یضلوا بعده فأبوا لأنفسهم هذه النعمه. و کونه بادره لم یسبق لها مثیل منه (صلی الله علیه و آله) فهو صحیح و لکن لا یوجب ذلک انکار للحدیث و هل تعجب من النبی ان یصنع شیئا لم یسبق له نظیر لا سیما و انها بادره تقع فی اخریات ایامه قصد بها أن یفارق امته عن شیء یسد علیهم باب الخلاف و الضلال. ان النبی اعظم من ان تستکثر علیه مثل هذه البادره.

و أما قولک: (ثمّ من هو عمر هذا الذی یأمر و ینهی و لا یستطیع أحد مخالفته) فهذا صحیح و لکن عمر لم یمنعه بقوه سیف أو سیطر علی المسلمین أو علی النبی و إنما منعه لأنه ألقی شبهه تثیر الخلاف مدی الدهر و هی ان النبی کان یهجر أو غلبه الوجع ما شئت فعبر، و أقل الناس یستطیع ان یصنع ذلک لا سیما إذا وجد أعوانا و انصارا و بالفعل قد وجد عمر اولئک الأعوان إذ رأینا المسلمین الحاضرین قد اختلفوا علی فرقتین، فبطل مفعول الکتاب الذی کان المقصود منه أن لا یضلوا بعده أبدا کیف و قد صار هو نفسه موضوعاً للنزاع و الجدال و النبی حاضر بینهم و امام عینیه حتی أغضبوه و قال: (قوموا عنی و لا ینبغی عند نبی نزاع). و لا- یرید النبی أن ینفذ مثل هذا بقوه السیف أو العشیره فان طبیعه الموضوع تأبی ذلک لأن هذا یزید فی الخلاف و یعقده.

نعم صحیح قولک: (و لم یزد عمر علی ان رأی رأیا حین قال: ان الرجل قد غلبه الوجع...) و لکن هذا الرأی لا بد أن یحول دون تنفیذ الکتاب لأن طبیعه الموضوع تقتضی أن یحول هذا الرأی دونه کما قلنا، فنعرف السر فی عدوله (صلی الله علیه و آله) عن تنفیذ الکتاب و نعرف کیف جاز له العدول عنه.

و ما أدری أی أمر جوهری أعظم من کتاب یؤمن الناس من الضلال ابدا، و هل المقصود من الدین شیء فوق هذا، حتی تقول أنت: (و لو کان الأمر متعلقا بأمر جوهری من امور الدین...)

و بذلک البیان تعرف یا أخی مدی قولک بالأخیر (و إلا لترتیب علی ذلک ان النبی (صلی الله علیه و آله) کتم کثیرا مما کان یرید تبلیغه خشیه عمر و غیره و لا أظن مؤمنا یقول بذلک) فانی اکرر القول بأن النبی انما عدل عنه لا خشیه من عمر و غیره و لکن الشبهه التی أثارها و تقبلها بعض الحاضرین بالفعل فاختلفوا بحضوره لا تبقی مجالا للکتاب، لأنه بالعکس سیکون سببا للضلال و الخلاف ابدا الدهور بعد ان کان المقصود منه تأمین البشر من الضلال، فلا بد أن یعدل عنه روحی فداه، و لا ینفع معه التدبیر باخراج عمر و لا أی تدبیر آخر حتی بقتله کما تقول، لأن الشبهه قد وقعت رضوا أم أبوا، و کل قول و فعل حینئذ من النبی بعد هذا یکون موضعا لهذه الشبهه بأنه من الهجر و غلبه الوجع. و حق لابن عباس و غیر ابن عباس بعد هذا أن یبکی و یبکی بل حق له أن تتفطر کبده ألماً لفوات هذه النعمه الکبری التی لا تعادلها نعمه، مهما کان مقصود

النبی من ذلک البیان الذی لا یضلون بعده أبدا سواء کان هو النص علی علی أو علی أی شیء آخر.

و نحن رجحنا ان یکون المقصود هو النص علی علی للدلائل و الاشارات التی ذکرناها فی کتاب السقیفه و من جملتها قول عمر: (حسبنا کتاب الله) الذی هو صریح فی ان ما یرید ان یبینه النبی هو عدل للقرآن، و یسرع إلی أذهاننا حینئذ حدیث الثقلین و انه هو المستهدف فی البیان و المنع منه.

ثمّ انک تسأل عن الحاجه إلی الکتاب بعد نص الغدیر و غیره، فان الحاجه الیه ما کان یستشعره النبی من عزم جماعه علی تجاهل تلک النصوص کما وقع فعلا. و أما قولک: (و من نسی حدیث الغدیر و انکره علی قرب العهد به فهو لما فی الکتاب المزمع کتابته أشد نسیانا و نکرانا) فانی لم استطیع فهمه و لم اعرف فیه وجه کون الکتاب أشد نسیانا، فان ما هو مکتوب أثبت مما ینقل علی الأفواه و کیف یتطرق الیه النسیان أو النکران و هو حجه ثابته مکتوبه، علی انه لو وقع یکون أقرب عهداً إلی الناس من حدیث الغدیر لو کان بعد العهد هو السبب فی النسیان أو النکران کما اردت ان تقول.

فی البحث السادس

۱ قلت: (إن ما نسب إلی الامام... یدل دلاله صریحه علی عدم ثبوت حدیث الغدیر) و أنا استمیحک عذرا إذا قلت لک:

إن کلامک هذا غیر فنی فان ما ذکرته من قولی الامام: (احتجوا

بالشجره...) و (افسدت علينا...) لا معنى لان يقال فيه انه يدل دلاله صريحه على نفى الحديث، لأنه لا دلاله لفظيه فيه على ذلك، و أقصى ما يمكن ادعاؤه انهما يدلان بالدلاله العقليه على نفيه باعتبار انه ترك الاستدلال بحديث الغدير فى موقع كان الأولى أن يستدل به، فعدوله عنه دليل على عدم ثبوته و إلا لاستدل به. و هذه الدلاله لا تسمى دلاله صريحه.

و نحن ننكر عليك حتى هذه الدلاله العقليه لأنه لم يكن فى موقع الاستدلال بحديث الغدير حتى يكون تركه دليلا على عدم ثبوته فى القول الاول، لانه جاء احتجاجا على من احتج باستحقاق الخلافه بالقرابه من الرسول فقال لهم: إذا كان ذلك سببا للاستحقاق فمن كان اكثر قرابه و أقرب فهو أولى بالاستحقاق. و التشبيه بالشجره و الثمره من التشبيهات البديعه فى الباب فانه لبيان أولويه الاستحقاق للأقرب لأنه هو الثمره التى هى أولى من أصل الشجره بالاستفاده منها بل الثمره هى الغايه المقصوده من الشجره. و ليس هذا موردا لذكر النص لأنه من باب النقض على المستدل بحجته.

و أما القول الثانى فعلى تقدير صحه نقله فان قوله: (لم ترع لنا حقا) كلام عام يجوز ان يراد به النص و يجوز ان يراد مطلق الحق الذى صورته فى كلامك. و هذا التصوير الذى ذكرته و أطنبت فيه ليس فى كلام الامام دلاله عليه و إنما هو من اجتهاد الكاتب حينما تخيل ان الامام لا نص عليه فلا بد أن تكون احتجاجاته و شكواه ناشئه من اعتقاده بالأحقيه.

۲ تحدثت عن قصه انصراف الناس عنه بعد موت فاطمه فانه کلام غریب فانه لا ربط له بقصه النص و إنما تلک القصه ترتبط بقصه التجاء الامام إلی مسالمه القوم بعد الانصراف عنه.

۳ تقارن بین قول الامام: (فنظرت فاذا لیس لی معین...) و بین آیه (کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ) لتستدل من الآیه علی تکذیب نسبه هذا القول الیه. و ازیدک انک بهذا الاستدلال تستطیع ان تکذب کثیر من الأحادیث النبویه مثل احادیث الحوض و نحوها الداله علی ارتداد أصحابه بعده و تبدلهم و رجوعهم القهقری و المرویه فی الصحاح.

غیر انی احیلک علی کتب التفسیر لمعرفه مدی دلاله هذه الآیه. و ما علینا من کتب التفسیر! لننظر بأنفسنا إلی مدی دلاله هذه الآیه علی المقصود:

ان دلالتها تکمن فی کلمه (کنتم) فان کانت علی ظاهرها من دلالتها علی الماضی المنقطع بمعنی انهم کانوا فیما مضی خیر امه ثمّ لم یستمر ذلک لهم فلا ینافیها أن تکون الامه قد انقلبت بعد الرسول علی الاعقاب لأنه قال: کنتم خیر امه، و لم یقل انتم خیر امه أبد الدهر.

و لکن بعض المفسرین أوّل معنی (کنتم) فقال: انها للماضی الاستمراری مثل قوله تعالی: (وَ کانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِیماً) و أنا شخصیاً کذلک أفهم هذا المعنی من الآیه، غیر ان الذی یشکل علینا ان المسلمین لم یکونوا فی جمیع عهودهم علی ما تصف الآیه الکریمه یأمرون بالمعروف و ینهون عن

المنكر لا- سيما فى مثل عهودهم الحاضره التى لم يبق فيها من المعروف حتى رسمه فضلا عن أن يكون كلهم من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر. هذا هو الواقع المرير الذى لا سبيل لنا من انكاره و المكابره فيه فكيف نتصور انطباق الآيه على عهودنا و امثالها.

و عليه فليس الاشكال يخص الامه الاسلاميه فى أول عهودها بعد النبى بل فى جميع عهودها الغابره و الحاضره فكيف نستطيع التوفيق بين واقع امتنا المحزن و بين دلاله الآيه على امتداح هذه الامه و تفضيلها على سائر الامم لأنها تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر؟ كيف التوفيق يا ترى ؟

و الذى يخطر فى بالى من الجواب على ذلك أحد أمرين (الأول) و هو الأرجح عندى ان الآيه قد تقدمتها آيات أخر ذكرت وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إن هذا التشريع كما يبدو منها انه من مختصات المسلمين المخاطبين بهذا الوجوب على أن يتولى بعضهم هذا الأمر ثمّ ذكرت نهى المؤمنين عن ان يتفرقوا و يختلفوا من بعد ان جاءتهم البينات فتبيض وجوه بعض و تسود وجوه آخرين ثمّ قال: (كنتم خير امه...) لبيان انه لما كانوا خير الأمم لا ينبغى ان يختلفوا و سر انهم خير الأمم لأنه قد شرع لهم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و ليس المقصود الأخبار عن انهم كلهم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر لا سيما ان المخاطب

بالوجوب بعض المسلمين على نحو الوجوب الكفائى (و لتكن منكم امه يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف...)

(الثانى) ان المراد انكم تأمرون بالمعروف من حيث مجموعكم و لو بامتثال البعض و ان كان ذلك البعض قليلا باعتبار ان ذلك البعض من الامه يعمل باسمها كأنه يقول: انكم خير الامم لأن فيكم من يأمر بالمعروف و ليس كذلك باقى الامم. و هذا كما نقول مثلا ان الأمه الانكليزيه احتلت العراق، و ليس المراد ان جميع الامه احتلته بل بعض جيوشها و ذلك باعتبار ان ذلك البعض منها و كان عمله باسمها.

فى البحث السابع

١ تسأل عما إذا كان تناقض بين قول الامام: (لو وجدت اربعين ذوى عزم...) و بين قوله: (فأمسكت يدى حتى رأيت راجعه الناس...) فانى لم اعرف وجها للتناقض بين القولين فان الامام فى الأول يقول: لو وجدت الأربعين على هذه الصفه لناهضت القوم، و معنى ذلك انه لم يجد الأربعين فلم يناهضهم يعنى انه سالمهم، ثمّ صرح فى الثانى بأنه امسك يده عن نصرتهم غير انه لما رأى راجعه الناس عن الاسلام فرأى ان المصيبه فى ذلك اعظم من مصيبه فوت الولايه فالتجأ أن ينصر الإسلام لأجل ذلك، لا نصره للامراء و لا لكونهم عنده أهلاً للنصره كما هو مدلول كلامه. و أنت

ترى ان احد الكلامين يتصل بالآخر و يكون متمماً له، فأين التناقض ؟

أما انه لو ناهض القوم بالأربعين عنـد ما يجـدهم فانك تحتمل ان تـدور عليه الدائره كالحسـين فهذا تكهن لم يعترف به الامام و هو من ظاهر كلامه كان جازما بأن الأربعين على هـذه الصـفه لو وجدهم لكانوا كافين له فى النصـره على خصومه. أما انه يكون ذلك ثلما للاسـلام لو انتصـر عليهم، فمن أين نفهمه إذا فرضـنا انه انتصر على غاصبى حقه من الخلافه التى هى بنص النبى و بها حينئذ قوام الاسلام لا هدمه إلا إذا كنا لا نعترف بالنص فهذا أمر آخر.

و أما كفايه نصره مالك بن نويره فعلى تقديره فهو واحد من ذوى العزم إذا كان هو حقيقه من ذوى العزم الذين يشترطهم الامام فكيف تفرض ان الحجه قد قامت عليه بمالك وحده على انه كونه يعترف بحقه شىء و كونه من ذوى العزم شىء آخر.

و أما سؤالك عن اتفاق قوله عليه السـلام: (فخشـيت ان لم أنصـر الاسـلام و أهله ان أرى فيه ثلماً أو هـدما) مع ما ذهبتُ اليه من تقاعس الامام عن نصـره الخلفاء إلا بمقـدار الضـروره فانه واضـح الاتفاق لان الامام فى صدر كلامه ذكر انه أمسك يده و لكن ضروره حفظ بيضه الاسلام دعته إلى النصره. و هذا صريح بأن الضروره هى التى دعته الى ذلك

و الضـرورات تقـدر بقـدرها لا ان النصـره ابتـدائيه بدافع نفسـى ليناقض ما قلته عنه، بل هذا الكلام مما يؤيد قولى و يؤكده و هو يدل على أن العمل الذى يعلم انه يضـر بالاسـلام يتركه و يعمل ما يرى عمله ضروره اسلاميه، فكيف كان قوله هذا يدل على انه يحجم عن الفعل أو القول الذى يكون خذلانا للاسلام كما رغبت انت ان تقوله و تتصوره عن هذه الكلمه.

نعم ان الامـام اعظم و أجـل ان يتقاعس عن عمل يراه واجبا لنصـره الاسـلام، و من اين يـدل كلامه المنقول او كلامى المسـطور على خلاـف ذلـك فاذا تباطأ ابو الحسن فانما تباطأ عن شـىء يكون فيه نصـره لأبى بكر و عمر و لم يتباطأ عما تـدعوه الضـروره الاسـلاميه الى فعله، و انمـا لم يشترك فى الحروب لأـنه حينئـذ يكون مـأموراً لهم و هـذا ما كان يتحاشاه بل يتحاشونه معه. و ما ذكرته فى السقيفه عن ذلك ففيه الكفايه.

و أمـا قيـاسه فى الاـشتراك فى الحروب بعمر و عثمـان و طلحه و امثـالهم فقيـاس مع الفـارق البعيـد، لو كـان هناك قياس، و ابو الحسن من تعرف فى حروبه ايـام خلاـفته و لم يشـترك قبله و لاـ بعـده من الخلفـاء بنفسه فى الحروب، فكيـف يقـاس غيره به و كيف لا يستغرب عدم اشتراكه فى الحروب ايام الخلفاء قبله و كيف لا يدل ذلك على عدم تعاونه معهم معاونه صادقه ؟

هذا ما أردت ان اقوله يا قره العين فى جوابات

اسئلتک و اعذرنی إذا کنت قد رمزت لک رمزاً فی کثیر من الأبحاث اقتصاداً فی الوقت و استعجالاً فی الاجابه للشواغل التی دهمتنی فی خلال تسجیل هذه الرساله فعاقتنی عن الاسراع إلی اتمامها فی الوقت المناسب.

و تقبل التحیات من المخلص

محمد رضا المظفر

۱۲ جمادی الاولی سنه ۱۳۷۳

أهم مصادر الکتاب

۱ صحیح البخاری المطبوع بمصر عام ۱۳۲۰ ه

۲ صحیح مسلم المطبوع بمصر عام ۱۳۹۰ ه

و ما فی ص ۵۸ رجعنا فیه الی المطبوع عام ۱۳۳۴ ه

۳ مسند احمد المطبوع بمصر عام ۱۳۱۳ ه

۴ العقد الفرید المطبوع بمصر عام ۱۳۵۳ ه

۵ مستدرک الحاکم

۶ الجمع بین الصحیحین

۷ کنز العمال

۸ تاریخ الطبری

۹ تاریخ ابن الأثیر

۱۰ تاریخ الخمیس

۱۱ تاریخ الیعقوبی

۱۲ السیاسه و الامامه لابن قتیبه

۱۳ تاریخ الخلفاء للسیوطی

۱۴ تاریخ ابن خلدون

۱۵ مروج الذهب

۱۶ السیره الحلبیه

۱۷ سیره ابن هشام

۱۸ سیره دحلان

۱۹ طبقات ابن سعد

۲۰ الاصابه

۲۱ الاستیعاب

۲۲ اسد الغابه

۲۳ التهذیب لابن عساکر

۲۴ میزان الاعتدال

۲۵ نهج البلاغه

۲۶ شرح النهج لابن ابی الحدید

۲۷ منهاج السنه لابن تیمیه

۲۸ الصواعق المحرقه له

۲۹ مقالات الاسلامیین لأبی الحسن الأشعری

۳۰ الملل و النحل للشهرستانی

۳۱ الفصل فی الملل و النحل لابن حزم

۳۲ البیان و التبین للجاحظ

۳۳ معجم البلدان

۳۴ لسان العرب

۵۳ حیاه محمد للدکتور محمد حسین هیکل

ص:۲۰۷

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹